في
رحاب الأخوّة

بقلم

د. عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم

في

رحاب الأخوّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

المؤلف في سطور

- عائض بن عبدالله بن عائض آل مجدوع القرني.
- من مواليد عام ١٣٧٩هـ ببلاد القرن جنوب المملكة العربية السعودية.
- حصل على الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ.
- حصل على الماجستير في الحديث النبوي عام ١٤٠٨هـ وعنوان رسالته: «البدعة وأثرها في الدراية والرواية».
- حصل على الدكتوراه من جامعة الإمام عام ١٤٢٢هـ بعنوان: «دراسة وتحقيق كتاب المفهم على صحيح مسلم للقرطبي».
- له أكثر من ثمانمائة شريط كاسيت إسلامي في الخطب والدروس والمحاضرات والأمسيات الشعرية والندوات الأدبية.
- يحفظ القرآن الكريم، وكتاب «بلوغ المرام»، ويستحضر ما يقارب من خمسة آلاف حديث وأكثر من عشرة آلاف بيت شعر.
- له أربعة دواوين شعرية هي:

  ١ ـ لحن الخلود.

  ٢ ـ تاج المدائح.

  ٣ ـ هدايا وتحايا.

  ٤ ـ قصة الطموح.

- أما مؤلفاته: فقد ألّف في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة والتراجم، ومن مؤلفاته التي أصدرتها دار ابن حزم بلبنان:

١ - الإسلام وقضايا العصر.
٢ - تاج المدائح.
٣ - ثلاثون سبباً للسعادة.
٤ - دروس المسجد في رمضان.
٥ - فاعلم أنه لا إله إلا الله.
٦ - مجتمع المُثل.
٧ - ورد المسلم والمسلمة.
٨ - فقه الدليل.
٩ - نونية القرني.
١٠ - المعجزة الخالدة.
١١ - اقرأ باسم ربك.
١٢ - تحف نبوية.
١٣ - حتى تكون أسعد الناس.
١٤ - سياط القلوب.
١٥ - فتية آمنوا بربهم.
١٦ - هكذا قال لنا المعلم.
١٧ - ولكن كونوا ربانيين.
١٨ - من موحد إلى ملحد.
١٩ - إمبراطور الشعراء.
٢٠ - وحي الذاكرة.
٢١ - إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.
٢٢ - ترجمان السنة.
٢٣ - حدائق ذات بهجة.
٢٤ - العظمة.
٢٥ - لا تحزن.
٢٦ - وجاءت سكرة الموت بالحق.
٢٧ - مقامات القرني.
٢٨ - احفظ الله يحفظك.
٢٩ - أعذب الشعر.

❁ حضر عشرات المحاضرات والأمسيات، وحضر مؤتمر الشباب العربي المسلم ومؤتمر الكتاب والسنة بالولايات المتحدة الأمريكية، وحاضر في الأندية الأدبية والرياضية وحاضر في الجامعات والملتقيات الثقافية.

❁ ❁ ❁

المحتويات

أطياف الود

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد..

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠] قالها سبحانه وتعالى في كتابه، وأتى بها رسول الهدى ﷺ في الأرض، وآخى بين أصحابه، فلا قبائل ولا حزبيات ولا عصبيات ولا ألوان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣]، فأكرمنا: أقربنا إلى الله، وليس أكرمنا فلان بن فلان.

يقول ﷺ: **«لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من جهنم»**[(١)]

لا تقل أصلي وفصلي يا فتى ... إنما أصل الفتى ما قد حصل
ليس من يقطع طرقاً بطلاً ... إنما من يتقي الله البطل

أبو جهل كان يقول: أنا من بني مخزوم، وأنا سيد قريش، وأنا

(١) حسن أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وانظر: «كشف الخفاء» (٢/٤٣٣)، و«المشكاة» (٤٨٩٩).

وأنا.. ولكنه لما كفر بلا إلٰه إلا الله، أدخله الله على وجهه في النار فما نفعته أسرته.

أما بلال، العبد الرقيق، المولى، الأسود، فلما آمن بلا إلٰه إلا الله، وسجد لرب لا إلٰه إلا الله أصبح سيداً من السادات.

يقول عمر، رضي الله عنه وأرضاه: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا، يعني: بلالاً[١].

في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: **«يا بلال حدثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يدي في الجنة»**.

قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليلٍ أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي[٢].

وسلمان الفارسي أتى من أرض فارس، فدخل في الدين، فروي عنه ﷺ أنه قال: **«سلمان منا أهل البيت»**[٣].

فالمؤمنون إخوة.. إخوة أعظم من إخوة النسب، وأعظم من قرب الحسب؛ لأنها إخوة تصلهم بالله عزَّ وجلَّ.

يقول عزَّ من قائل للمؤمنين: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٤) عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) صحيح موقوف أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٠٤٠)، والحاكم (٦٥٤١) عن عمرو بن عوف المزني، رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (٦/١٣٠)، و«كشف الخفاء» (١/٥٥٨).

وروي كذلك من حديث أنس، والحسين بن علي، وزيد بن أبي أوفى، وقد أخرجه موقوفاً على علي بن أبي طالب ابن أبي شيبة (١٢/١٤٨)، وابن سعد (٢/٣٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٨٧)، وسنده صحيح على شرط الشيخين.

قيل في سبب الآية: أن الأوس والخزرج، أنصار الرسول ﷺ في المدينة، تآخوا، وتآلفوا، وتحابوا حتى أصبحوا أعظم من الآباء والأمهات.. فغاظ هذا اليهود، فأتى يهودي مجرم إلى المدينة، فدخل على الأوس والخروج، وهم في المسجد، فقال: أنسيتم حروب الجاهلية؟ وأصبح يعيد ذكريات الحروب، والثارات القديمة، حتى أشعل الفتنة بينهم، فنسوا ما اعتادوا عليه من الألفة والمحبة، فقام شاب من الخزرج فسلّ سيفه، وقال: يا للطيمة يا للطيمة.

وقام أوسي.

فتواعدوا في الحرة، فخرجت القبيلتان، والموت يقطر من سيوفهم؛ لأن القبائل يوم تنسى لا إله إلا الله، ويوم تنسى رسالة الرسول ﷺ، ويوم تنسى الحب الذي أنزله الله في كتابه، ويوم تنسى الجنة، والنار، والصراط، والميزان، تصبح كأنها قطيع من البهائم في الغابة.

فأخذوا السيوف، وصفّوا الصفوف، وأرادوا أن يقتتلوا، فسمع الرسول ﷺ الخبر، فخرج من بيته، وهو يقول: «**حسبي الله لا إله لا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**».

يقول أهل العلم: خرج بلا حذاء، يجر إزاره، فوصل بين الصفين، والسيوف قد سُلّت، والموت الأحمر يتقاطر من رؤوسها.

فوقف بين الصفين، وقال: «**يا أيها الناس أما كنتم ضلالاً فهداكم الله بي؟ أما كنتم متفرقين فجمعكم الله بي؟ أما كنتم متحاربين فآخى الله بينكم بي؟**».

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «**ألست فيكم؟**».

قالوا: بلى.

قال: «**أما نزل الوحي عليّ وأنا بين أظهركم**».

قالوا: بلى.

قال: «**فما هذا؟**».

فوضعوا السيوف على التراب، وقالوا نستغفر الله، وأخذوا يتباكون ويتعانقون[١].

إذا اقتتلت يوماً ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

فأنزل الله أول الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٠، ١٠١] أي: كيف تقتتلون؟ كيف تتباغضون؟ كيف تتناحرون؟ كيف تتقاطعون؟ كيف تسري فيكم الفتنة؟ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ أليس فيكم القرآن؟ أليست فيكم الرسالة الخالدة؟ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٠١].

والاعتصام بالله، هو: أن تتوجه إلى الكتاب والسنة، وأن تخلص قلبك لله، وأن تُطهر قلبك، وعينك، وسمعك، ويدك، ورجلك لتكون عبداً لله.

كان عمر يبكي في ظلام الليل، وهو ساجد في البيت، ويقول: اللهم اجعلني عبداً لك وحدك.

قال أهل العلم: أي: عبداً لله لا عبداً لغيره، لأن بعض الناس عبد لله، وعبد لوظيفته، وعبد لمنصبه، وعبد لماله، وعبد للناس، ولكن المؤمن عبد لله وحده.

يقول ﷺ كما في «الصحيح»: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»**[٢].

ثم قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] كان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية، بكى حتى تكاد أضلاعه تختلف.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٩٣/٣)، وتفسير الطبري (٢٣/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

فيقولون: ما لك؟ .

فيقول: أخشى أن أموت على غير الإسلام.

لأن الخاتمة عند الله عزَّ وجلَّ، والخاتمة أمرها خطير.

قال ابن القيم: من شب على شيء شاب عليه، ومن عاش على شيء توفاه الله عليه، ومن أسعد شبابه، وأسعد حياته، بتقوى الله، سلّمه الله، حتى يلقى الله على لا إله إلا الله.

ثم قال سبحانه بعدها: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] قال مجاهد: حبل الله: الإسلام.

وقال غيره: حبل الله: الرسول ﷺ.

وقال الثالث: حبل الله: القرآن.

والصحيح أن حبل الله: الإسلام والرسول والقرآن.

أيها الإخوة الكرام!! أيها الأماجد!! يا حملة لا إله إلا الله!! كانت الجزيرة قبل مبعث الرسول ﷺ جزيرة فقيرة، جزيرة مظلمة، لكل قبيلة صنم من الأصنام تعبده، وقد انتشر فيها السلب والنهب والزنا والكذب والغش والخيانة.

فكان الأخ يقتل أخاه على مورد الشاة.

فلما أراد الله أن يحيي هذه الأمة، أرسل محمداً ﷺ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور. . ، يقول سبحانه ممتناً على الناس: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجُمُعَة: الآية ٢].

فأخرجهم الله بهذا الرسول الأمي ﷺ من تلكم الظلمات، إلى هذا النور والفضل، وإلى قيادة البشرية بعد سنين معدودة.

وعلمهم ﷺ الإخاء والتواد بعد أن كانوا متناحرين متباغضين.

يقول عمر، رضي الله عنه،: والله، إنه ليطول عليّ الليل إذا تذكرت أخي في الله، فأتمنى الصباح لأعانقه شوقاً إليه.

يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٣] أي: والله، الذي لا إله إلا هو، لو أنفقت الدنيا ذهباً وفضة، ما ألّفت بين قلوبهم، ولا آخيت بينهم؛ لأن القلوب لا تلتقي إلا على دين الله.

فنحن نرى اليوم: أن من يصطلح صلحاً على غير الدين، وعلى غير لا إله إلا الله، يجعل الله صلحهم دماراً وخراباً، ويجعل اجتماعهم فتنة، ويجعل عزتهم ذلة، ويجعل غناهم فقراً لأنهم اجتمعوا على غير طاعة الله.

أما الإسلام فقد ألّف بينهم، فقبائل العرب كانت أكثر من ثلاثين قبيلة، فلما آخى ﷺ بينهم أصبحوا أمة واحدة، يقاتلون في صف واحد، ويُصلّون في صف واحد.

وأينما ذكر اسم الله في بلدٍ عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني

عند البخاري في «الصحيح» أن الصحابة اجتمعوا في مجلس يتشاورون في أمر الحرب، وكان معهم: سيف الله خالد بن الوليد أبو سليمان، ومعهم: بلال بن رباح المولى العبد الذي رفعه الإسلام حتى أصبح سيداً من السادات، ومعهم: أبو ذر.

فتكلم بلال.

فرد عليه أبو ذر، وقال: يا ابن السوداء.

فقال بلال: والله، لأرفعنّك إلى الرسول ﷺ، فذهب إلى الرسول ﷺ فأخبره، وقال: يا رسول الله!! أبو ذر تكلمت، فقال لي كذا وكذا.

فاحمر وجهه ﷺ، واستدعى أبا ذر، فقال له: «**أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية**».

قال: يا رسول الله، أعلى كبر سني وشيبتي.

قال: «**نعم، إنك امرؤ فيك جاهلية**»(١).

فخرج أبو ذر وقال: لا جرم، والله، لأنصفن بلالاً من نفسي، فوضع أبو ذر رأسه على التراب، وقال: طأ يا بلال رأسي برجلك، والله لا أرفع رأسي حتى تطأه برجلك.

هذا هو التآلف، وهذا هو الحب الذي يمحي كل خطأ، وكل ذنب.

يقول سبحانه عن المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المَائدة: الآية ٥٤] أذلة: جمع ذلول، أي: مع إخوانه، وأما مع الكفار: فعزيز قوي.

لكن الجاهلية جعلت من الإنسان أسداً جسوراً على جيرانه وأرحامه وقبيلته، وذليلاً مخادعاً جباناً أمام الكفار والأعداء، فنسأل الله أن يصلح الحال.

ويقول سبحانه في أصحاب الرسول ﷺ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: الآية ٢٩].

وعند البخاري في «الصحيح»: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى الرسول ﷺ، وكان على الرسول ﷺ بردة نجرانية غليظة الحاشية، فجذبها الأعرابي، حتى أثر في عنق المصطفى ﷺ.

فلما التفت إليه ﷺ، قال الأعرابي: يا محمد، أعطني من مال الله الذي عندك، لا من مال أبيك، ولا من مال أمك.

فتبسم ﷺ وأمر له بعطاء(٢)، ولقد أنزل الله عزَّ وجلَّ في نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١) بنحوه عن أبي ذر، رضي الله عنه، وانظر: فتح الباري (١/٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤٩، ٥٨٠٩، ٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧) عن أنس بن مالك، رضي الله عنه.

يقول ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»(١) معنى ذلك: أن تبتسم في وجوه الناس؛ لأن تبسمك في وجه أخيك صدقة.

يقول سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العَصر: الآيات ١-٣].

يقول أحد المفسرين: كان الصحابة إذا اجتمعوا، لا يتفرقون حتى يقرأوا هذه السورة؛ لأنها تذكرهم بالتواصي في ما بينهم بالحق والصبر.

وورد أن الرسول ﷺ كان جالساً في مسجده عند الصحابة، رضوان الله عليهم، فقال لهم: «**يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة**».

فطلع رجل يقطر ماء الوضوء من لحيته، فصلّى ركعتين وجلس.

فلما أتى اليوم الثاني قال ﷺ مثل ما قال، فخرج هذا الرجل.

وهكذا في اليوم الثالث.

فتبعه ابن عمرو، فبات عنده ليرى صيامه وقيامه..، فلم يجد من ذلك شيئاً، فسأله عن ذلك.

فقال: إني أبيت وليس في قلبي غش، أو غل لأحد من المسلمين.

فقال: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق(٢).

هذا هو الإيمان.. فلا غل، ولا حقد، ولا حسد.

يقول ﷺ كما في «الصحيح»: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه...**»(٣)، وفي رواية عند مسلم: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا** - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - **بحسب**

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) حسن أخرجه أحمد (١٢٢٨٦)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٩٩) عن أنس، رضي الله عنه، وانظر: مجمع الزوائد (٧٩/٨). حيث زاد نسبته إلى البزار، وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»[١].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك**»[٢]، وورد موقوفاً على ابن عمر قال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»[٣].

أيها المسلمون الفضلاء!! يقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٤]، فهذا معنى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠].

كيف تحب لأخيك ما تحب لنفسك؟

قال أهل العلم: أن تحب له من الخير مثل ما تحب لنفسك من الخير.

ومن أعظم الخير: أن تحب له أن يستقيم، وأن يهتدي، وأن يصلي الصلوات الخمس في جماعة، وأن يتفقه في الدين.

سبّ أعرابي ابن عباس.

فقال ابن عباس: أتسبني وفيّ ثلاث خصال!!.

قال الناس: ما هي يا ابن عباس؟

قال: والذي نفسي بيده، ما نزل القطر في أرض إلا حمدت الله وسررت، وليس لي في الأرض ناقة ولا جمل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) حسن بشواهده أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢)، وانظر: «كشف الخفاء» (٣٨٥/٢)، و«مصباح الزجاجة» (١٦٤/٤).

(٣) سنده حسن أخرجه الترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان، كما في «الإحسان» (٥٧٦٣)، وانظر: «غاية المرام» (٤٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) عن أنس رضي الله عنه.

ووالله، ما سمعت بقاضٍ يحكم بكتاب الله إلا دعوت له، وليس لي عنده قضية.

ووالله، ما فهمت آية من كتاب الله، إلا تمنيت على الله أن يُفهّم الناس مثل ما فهّمني هذه الآية.

وكانوا يقولون عن ابن سيرين، أنه إذا أقبل إلى فراشه، نفضه، ثم قرأ سورة الإخلاص ثلاثاً والمعوذات ثلاثاً ثم قال: اللهم اغفر لمن شتمني، ولمن ظلمني، ولمن سبني، اللهم اغفر لمن فعل ذلك بي من المسلمين.

وعند أبي داود بسند مرسل أن الرسول ﷺ قال للصحابة: «**أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم**»(١).

وأبو ضمضم هذا رجل من الصحابة، كان فقيراً لا يملك حفنة من التمر، دعا ﷺ للصدقة، فالتمس في البيت صدقة من دراهم، أو دنانير، فما وجد شيئاً، فقام، وصلى ركعتين في ظلام الليل، وقال: يا ربي!! يا الله!! إن أهل الأموال تصدقوا بأموالهم، وأهل الخيول جهزوا خيولهم، وأهل الجمال جهزوا جمالهم، اللهم إنه لا مال لي، ولا جمال، ولا خيول.

اللهم إني أتصدق إليك بصدقة فاقبلها: اللهم كل من ظلمني، أو سبني، أو شتمني، أو اغتابني من المسلمين فاجعلهم في عافية، وفي حلّ، وفي عفو.

فقبل الله صدقته ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائدة: الآية ٢٧].

● أسباب الفرقة:

١ ـ أيها الفضلاء، إن البغضاء من أسباب التفرقة بين الأسر والقبائل والشعوب، وهي الحالقة.. لا تحلق الشعر ولكن تحلق الدين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٧)، والعقيلي في الضعفاء (٩٣/٤) بسند مرسل عن عبدالرحمٰن بن عجلان، وأخرجه البيهقي في الشعب (٨٠٨٢، ٨٠٨٣) عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، وانظر: «موضح أوهام الجمع والتفريق» للخطيب البغدادي (٣٦/١)، والإصابة لابن حجر (٢٢٩/٧)، والإرواء (٣٣/٨).

البغضاء هي التي تفسد ذات البين.

البغضاء هي التي تشتعل في القلوب، وتقطع الأرحام ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمَّد: الآيتان ٢٢، ٢٣].

وبعض الجهلة ـ للأسف ـ يغذي هذه البغضاء في قلوب أبنائه، فيخبرهم بعداء القبائل، ويذكر لهم تاريخ الجاهلية، وكيف تحاربت القبائل فيما بينها، وماذا فعل بنو فلان ببني فلان، وما هو موقف القبيلة هذه منّا ومن أحلافنا، ومن أصدقائنا، ومن أعدائنا.

وهذا كله عداء جاهلي، وثني، ليس في الكتاب، ولا في السنة، بل هو حرب للإسلام.

يقول ﷺ فيما صح عنه: «**لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»(١).

هذه البغضاء، يا عباد الله، هي التي تأكل الحسنات، كما تأكل النار الخطب.

٢ ـ **ومن أسباب التفرقة أيضاً**: الحسد، والعياذ بالله، فسبب تقاتل أبناء آدم، إنما هو: الحسد.

يقول الله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النِّساء: الآية ٥٤]، ويقول الشاعر:

ألا قل لمن بات لي حاسداً … أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله سبحانه … لأنك لم ترض لي ما وهب
فجزاك عني بأن زادني … وسد عليك وجوه الطلب

والحسد في القلب شعلة من نار، يأكل الحسنات ويدمر الصالحات،

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣٧٥٠)، وأبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦) عن عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٤٨٥٢).

ويفني القبائل والأُسر، ويعدم الإخاء بين الناس، وهو كثير في الناس اليوم بسبب حب الدنيا.

٣ ـ وأما السبب الثالث من أسباب الفرقة فهو: حب الدنيا، وحبها رأس كل خطيئة.

يقول سبحانه عن الدنيا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: الآية ٢٠].

وصف بعض الصالحين الحياة فقال: هي حلم مثل أحلام النوم.

وقالوا لنوح، عليه السلام، وقد عاش أكثر من ألف سنة: كيف رأيت الحياة؟

قال: رأيتها كبيت له بابان، دخلت من هذا، وخرجت من ذاك.

وقالوا لأحد الصالحين: صف لنا الدنيا.

قال: هي عجوز، شمطاء، قبيحة التقبيل والشمّ.

وقال آخر: الدنيا سارقة مارقة، حية رقطاء.

وقال الإمام أحمد: عجباً للدنيا، بينما نحن مع أبنائنا إذ تفرقنا.

ولذلك يقول المتنبي:

أين الجبابرة الأكاسرة الألى ... كنزوا الكنوز فلا بقينا ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق

يقولون: إن هارون الرشيد الخليفة، لما حضرته الوفاة، قال: اجمعوا لي الجيش.. فجمعوا الجيش والقادة.

فخرج على الجيش، وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

ثم قال: اللهم إني لست مصلحاً فأعتذر، ولست قوياً فأنتصر، اللهم فاقبلني فيمن قبلت.

وكان الوليد بن عبدالملك، أحد الخلفاء، يتقلب ظهراً لبطن على التراب وهو يبكي في سكرات الموات، ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحَاقَّة: الآيتان ٢٨،٢٩].

فحب الدنيا هو: الذي قطع بين الأرحام، والأحباب، والأقارب.

وحب الدنيا، هو: الذي جعل الناس يتخلفون عن صلاة الجماعة والندوات، وعن ذكر رب الأرض والسماوات.

وحب الدنيا، هو: الذي أقسى القلوب، وضيّع الوقت في غير طاعة الله عزَّ وجلَّ.

وإلا... فليس لك من دنياك إلا ما أكلت فأبليت، أو تصدقت فأعطيت، أو لبست فأفنيت.

فاعلم علم اليقين: أن أحسن ما تقدمه، هو: العمل الصالح، وأن كل شيء سوف يزول، إلا ما أبقاه العبد لآخرته.

٤ ـ **ومن أسباب الفرقة**: العصبية الجاهلية القبلية، وقد أشرت إليها، وهي: التحزبات، وجعل بعض القبائل لها على بعض منزلة أو درجة.. وهذه من الشيطان، وهذه حرب للإسلام، وحرب للرسول ﷺ.

ومن افتخر بآبائه، فهو أولهم إلى النار، وهو معهم يحشر؛ لأن المرء يحشر مع من أحب.

• أسباب الإخاء:

ومن أسباب الإخاء أمور:

أولها: السلام والابتسام: بأن تسلم على من عرفت، ومن لم تعرف.

يقول ﷺ: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام**»(١).

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢٣٢٧٢)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، والدارمي (١٤٦٠) عن عبدالله بن سلام، رضي الله عنه، وانظر: المشكاة (١٩٠٧).

وتحيتنا هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لا نستبدل بها غيرها، لا أهلاً، ولا مرحباً، ولا كيف أصبحت، ولا أهلاً وسهلاً، ولا صباح الخير، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٤].

والابتسام لقوله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[١]، فعلى المسلم أن يبتسم للمسلمين، وأن يعانقهم إذا أتى من غيبة، وأن يعلم أن مصافحته للمسلم تحط الخطايا كما تحط الشجرة ورقها في شدة الشتاء.

٢ ـ **ومن أسباب الألفة**: الدعاء بظهر الغيب، وأجمل الدعاء؛ دعاء غائب لغائب.

يقول الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، لابن الشافعي بعد ما توفي الشافعي: أبوك من السبعة الذين أدعو الله لهم وقت السحر.

واعلم أنك إن دعوت لأخيك المسلم، فإن ملكاً يقول لك: ولك بمثل.

٣ ـ **ومن أسباب الحب والوئام**: الزيارة في الله، فإنها هي الباقية عند الله عزَّ وجلَّ.

ففي الحديث الصحيح: «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟**

قال: أريد أخاً لي في هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟؟ أي: تحفظها.

قال: لا، غير أني أحببته في الله عزَّ وجلَّ.

قال: فإني رسول الله بأن الله قد أحبك كما أحببته»[٢].

وأما زيارة المريض، فهي من أعظم القربات عند الله، ففي الحديث

(١) صحيح أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، وابن حبان، كما في الإحسان» (٥٢٩) عن أبي ذر رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (١٩١١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٧) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

أن النبي ﷺ قال: **«من عاد مريضاً لم يزل في خرافة الجنة حتى يرجع»**[١].

وفي حديث آخر قال فيه ﷺ: **«ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة»**[٢].

وفي الحديث الصحيح أن الله يقول للعبد وهو يحاسبه: **«يا ابن آدم جعتُ فلم تطعمني!!.**

قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلان بن فلان جاع فما أطعمته، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟!.

يا ابن آدم ظمئتُ فلم تسقني!!.

قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلان بن فلان ظمىء فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي.

ابن آدم مرضتُ فلم تعدني!!.

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلان بن فلان مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدت ذلك عندي»[٣].

٤ ـ ومنها: صلة الرحم، وهي: من أعظم الأمور التي تزيد في العمر، وتبارك في الحياة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٨) عن ثوبان رضي الله عنه، وخرافة الجنة: موضع اجتناء الثمار فيها.

(٢) صحيح أخرجه أحمد (٩٧٨)، وأبو داود (٣٠٩٨)، والترمذي (٩٦٩) عن علي رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (١٥٥٠)، ففيه قصة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

وأعظم ما يكدر الحياة، ويعكر الوداد، ويقسي القلوب، ويضيع الأوقات: قطيعةُ الرحم، والعياذ بالله.

أتى رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسِنُ إليهم ويسيئون إليّ، وأحلمُ عنهم ويجهلون عليَّ، فماذا أفعل؟

قال ﷺ: **«لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»**[(١)]، والمل: الرماد الحار.

قال المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هتكوا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمو ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

أما قرابة الرسول ﷺ، فاسمع ماذا فعلوا: لقد أخرجوه من داره وضربوا بناته، وأخرجوه من مكة، وحاربوه في أكثر من سبع عشرة غزوة، وكسروا ثنيته، وأسالوا دمه، وما تركوا مكيدة في الدنيا إلا دبروها له.

فلما انتصر عليهم، وطوقهم بالجيش، وهم جلوس في الحرم، قال: **«ماذا ترون أنيّ فاعل بكم؟»**.

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.
قال: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الشافعي في «الأم» (٣٦١/٧)، والطبري في «التاريخ» (١٦١/٢)، وابن حبان في «الثقات» (٥٦/٢)، والبيهقي في «السنن» (١٨٠٥٥)، وانظر: «صحيح الجامع» (٤٨١٥).

٥ ـ ومما يؤلف بين القلوب: تذكر الموت.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب   متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب

فمن الذي هرب من الموت؟

ومن الذي اعتصم بالقصور، فما أخرجه الموت بقاصمة الظهور؟

لا أحد.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٨] فأنتم تفرون منه ولكنه أمامكم!

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: الآية ٧٨] سبب نزول هذه الآية: أن أحد الكفار قال: يزعم محمد أنه لا بد أن أموت، لأبنينّ لي قصراً شاهقاً فلا يدخل عليَّ ملك الموت.

فقال سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: الآية ٧٨].

قال سفيان الثوري، رحمه الله: حق لمن بلّغه الله ستين سنة، أن يشتري له كفناً.

وكان الإمام أحمد، إذا رأى المقابر انقطع، وجلس مبهوتاً.

وكان عثمان، رضي الله عنه وأرضاه، إذا رأى المقبرة بكى حتى يُغمى عليه.

نؤمل آمالاً ونرجوا نتاجها   وعلَّ الردى مما نُرجيه أقربُ
ونبني القصور المشمخرات في الهوا   وفي علمنا أنا نموت وتخربُ

٦ ـ ومن أسباب الألفة: العفو، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٤]، فمن عفا عن مظلمة، أورثه الله عزاً في الدنيا والآخرة.

والعفو هو: أن تعفو عمّن ظلمك، كما عفا ﷺ عمّن ظلمه وقال لهم: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**(١).

يذكر ابن كثير وغيره، من المؤرخين: كان لابن الزبير مزرعة في المدينة، ولمعاوية مزرعة بجانب مزرعة ابن الزبير.

فدخل عمال معاوية مزرعة ابن الزبير، فغضب وكتب رسالة إلى معاوية يقول فيها: يا ابن آكلة الأكباد! إما أن تمنع عمالك من دخول مزرعتي، أو ليكوننّ لي ولك شأن.

فقرأ معاوية الرسالة، وإذ هي حارة من رجل من الرعية وهو ملك.

فقال لابنه يزيد: ماذا ترى؟

قال يزيد: أرى أن ترسل له جيشاً، أوله في المدينة، وآخره عندك، حتى يأتوا لك برأسه!

قال: بل أقرب من ذلك صلةً وأقرب رحماً.

فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم.. من معاوية بن أبي سفيان إلى ابن حواري الرسول ﷺ وابن ذات النطاقين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فوالله الذي لا إله إلا هو لو كانت الدنيا بيني وبينك لهانت عليّ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ عمالي إلى عمالك، ومزرعتي إلى مزرعتك.

فقرأها ابن الزبير، فبكى، حتى بلها بالدموع، وذهب إلى دمشق، فقبّل رأس معاوية، وقال: لا أعدمك الله عقلاً أحلّك من قريش هذا المحل.

فانظر كيف صنع العفو.. وكيف قلب العدوّ صديقاً، وبدّل الحق بالحب، وقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩] فأمره بالعفو مع المؤمنين.

---

(١) سبق في الحديث الذي قبله.

فينبغي علينا إخوة الإيمان: أن نحيي معاني العفو في حياتنا، بأن نتنازل قليلاً لإخواننا، عن بعض الأشياء، التي تقربنا بهم، وتزيدنا تماسكاً وترابطاً معهم.

هذه بعض الأمور التي تعين، وتقرب الألفة والأخوة بين المسلمين، ذكرتها لكم لعل امرؤ ناصحاً لنفسه أن يحاول امتثالها في حياته.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مـفـهـوم الحب في الإسلام

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد جاء الإسلام فقنّن، وحدد العقائد، والأفكار، والتصورات، والأخلاق، وضبطها، ووجّهها إلى الواحد الأحد.

ومن هذا المنطلق سوف أكتب عن الحب، وكيف وجهه الإسلام، والرسول ﷺ ولم يتركه؛ لأن كثيراً من الناس ظنوا أنهم يحبون من شاؤوا، في أي وقت شاؤوا.

وقف الرسول ﷺ على المنبر، يتحدث في الناس، وإذا بأعرابي يقاطعه.. فالتفت إليه ﷺ فقال: **«ما لك»**؟

قال: متى الساعة؟

فسكت عنه ﷺ ثم أكمل حديثه.

فلما انتهى قال: **«ماذا أعددت للساعة»**؟

قال: يا رسول الله، والله ما أعددت لها كثير صلاة، ولا صيام، ولا صدقة؛ ولكني أحب الله ورسوله.

فقال ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»(١).

قال الحسن البصري معلقاً على الحديث: لا يخدعنكم الحب فحسب، فوالله الذي لا إله إلاّ هو.. لقد أحب قوم عيسى بن مريم حتى ألّهوه، فأدخلهم حُبُّهُ النارَ.

وروى الغزالي في «الإحياء» قول ابن عمر رضي الله عنهما: والله لو أنفقت أموالي في سبيل الله، وصمت النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه.. ثم لقيت الله لا أحب أهل الطاعة ولا أبغض أهل المعصية لخشيت أن يكبّني الله على وجهي في النار.

من هذا المنطلق: جعل الرسول ﷺ الحب عقيدة.

وفي الحديث قال ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(٢).

والحب على قسمين: فطري جبلّي.. وسببي كسبي.

فأما الفطري الجبلّي: فلا لوم على العبد فيه، فإن الله فطره على ذلك، كحب الرجل الطعام، وحبه الماء، وحبه ابنه، وزوجته، وأصدقاءه.

وأما الكسبي السببي: فهو الإرادي الذي يحاسب الله عليه العبد، إذا صرفه لغير مرضاة الله تبارك وتعالى.

سُئل شيخ الإسلام: كيف يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ [الأنفال: الآية ٤٥]، كيف يُذكّرهم الله ذكره وقت الأزمات، أما هناك وقت إلا وقت مصارعة الأعداء، ووقت المقاتلة، والتقاء السيوف.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨، ٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩)، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه.

(٢) سنده صحيح أخرجه أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٣٠).

فقال ابن تيمية: إن المحبوبين يتشرفون بذكر محبوبهم وقت الأزمات.. أما سمعتم لقول عنترة يوم يقول لمحبوبته:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فكان الجاهليون يتمادحون بأنهم يذكرون محبيهم، وقت القتال والنزال، فأراد الله أن يحوّل هذا المعتقد الآثم، إلى ذكره وقت الأزمات... ولذلك فإن أفضل الذكر: يوم يُذكر الله وقت مصارعة عدوه.

● المحبوبات التي ذكرها القرآن:

يقول جلَّ ذكره: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤] فكل محبوبات الناس تدور على هذه، ولكن ما عند الله خير منها.

ومن أحب هذا الشيء، الذي ذكره الله، وأفنى حبه فيه حتى عبده، فليس له عند الله من خلاق؛ لأن الحب عبادة، وإذا اجتمع مع الذل فهو اكتمال العبادة..

ولذلك يقول ﷺ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»**[1].

وإنما سمّاه ﷺ عبداً؛ لأنه صرف حبه لهذه الأمور، حتى غلّبها على حب الله.

ومن الناس من يحب زوجته، أكثر من حبه لربه، تبارك وتعالى،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وقد سبق.

وعلامة ذلك: أن يقدّم مطلوبها، ولو كان في المعصية، على مطلوب الله سبحانه وتعالى.

من الذي أخرج حنظلة الغسيل من بيته، وهو في اليوم الأول من عرسه إلى لقاء الله؟ وأتى إلى أُحد، وكسر غمد سيفه على ركبته، وقال: (اللهم خذ من دمي اليوم حتى ترضى..) إلاّ حب الله.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفَجر: الآية ٢٠]، هذا يدخل فيه الحب الكسبي السببي، والحب الفطري الجبلّي.

أما الفطري الجبلي: فإن الإنسان يحب المال بلا شك، وهو مفطور على ذلك.

وأما الكسبي فهو الذي يوصله إلى درجة العبودية للدرهم والدينار، فيسبح بحمده صباح مساء، ويجعله مقصده في الحياة ومطلوبه.. فيكون إلٰهه ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجَاثيَة: الآية ٢٣]. ومن جعل شيئاً أعظم من الله في قلبه وأحبه كان إلٰهه، وكان مشركاً بالله.

ولذلك ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٥].

وذكر سبحانه ملاذ الدنيا في سورة التوبة فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التّوبَة: الآية ٢٤]، فمن قدم شيئاً من هذه على حب الله فلينتظر الموت، ولينتظر اللعنة، ولينتظر الغضب.

● ادعاء الحب:

والدعوى سهلة.

يقول بعض الصالحين: لا تعرض بحب الله على الألسن فتدعيه.

وادعاء حب الله: سهل عند الناس جميعاً، تارك الصلاة في المسجد تقول له: لماذا لا تصلي في المسجد؟؟.

قال: الله يعلم أني أحبه!

كذب لعمر الله! لو كان يحب الله ما تأخر عن الصلاة في المسجد.

يقول الأول:

نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم والحرب تسقي الأرض جاماً أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبّروا في مسمع الروح الأمين فكبرا

يقول ثابت بن عبدالله بن الزبير: يا رب أمتني الميتة الحسنة.

قالوا: وما هي الميتة الحسنة؟

قال: أن يتوفاني ربي وأنا ساجد.

فطالت به الحياة، وعلم الله أنه صادق ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: الآية ٢١]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: الآية ٦٩].

فمات، وهو ساجد في صلاة المغرب.

وأهل الحب، هم: أهل الإيمان والطموح.

قال أبو الحسن الندوي في كتابه (مسيرة الحياة): عين بلا إيمان: مقلة عمياء، وأمة بلا إيمان: قطيع من غنم.

ونقول: كتاب بلا إيمان: كلام مصفف، وقصيدة بلا إيمان: كلام ملفق، وعقل بلا إيمان: ضياع وهيام وخسار.

إن الحب لا يأتي بالدعوى فقط.

ولا بد للإنسان من إلٰه يحبه، ولذلك يقول ابن تيمية: الإنسان همّام حارث.. كما في الحديث الصحيح، فلا بد لقلبه أن يهم، ولا بد له أن يزاول شيئاً، فلا بد له من إلٰه يألهه، وهو: الله تبارك وتعالى.

وأما من يدعي الحب بلسانه، فيقال له:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا كلام في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وفي أثر لأهل الكتاب أن الله يقول: كذب من ادّعى محبتي، فإذا ضمّه الليل نام عني ولم يقم يناديني، أو كما قال سبحانه وتعالى.

فالحب ادعاه قوم كثيرون، وهو في المسلمين كثير حتى من الفسقة الفجار، فمنهم من يحمل الكأس، ويعيش للمرأة، ويسمع الأغنية، ويعاقر الخلاعة، فإذا نهيته عن ذلك، ادعى حب الله!

ومحبة الله عزَّ وجلَّ، ومحبة رسوله ﷺ أعلى المطالب، وأعظم المقاصد، وأعظم درجات العبودية.

ففي «صحيح البخاري» أن عمر، رضي الله تعالى عنه، قال: والله يا رسول الله إنّك أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي.

فقال ﷺ: **«لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»**.

فقال عمر: والله، يا رسول الله، إنك أحب إليّ من نفسي، هذا منتهى الحب.

عندها قال النبي ﷺ: **«الآن يا عمر»**(١).

وفي «الصحيحين» عن أنس قال: يقول ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**(٢).

فمن وجد هذه الثلاثة وجد حلاوة الإيمان، ومنتهى الإيمان، وأصل الإيمان، فهنيئاً له.

ومن لم يجد ذلك، فليبكِ على نفسه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) عن عبدالله بن هشام بن زهرة، رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١٦، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣).

يقول ابن القيم في (الفوائد) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية ٥٤] ليس العجب من قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فإن المحسن يُحبّ، فمن أطعمك وكساك وخلقك تحبه جبلّة وأصلاً.. ولكن العجب من قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾!.

● نماذج من الحب الخالص لله:

١ ـ **عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري**: أتى يوم أُحد ولبس أكفانه، وقال: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى، فقتل شهيداً.

ولذلك يقول ﷺ لفاطمة: أخت عبدالله ـ عمة جابر ـ: «**تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**»(١).

وفي حديث آخر أن الرسول ﷺ يقول: «**يا جابر ما لي أراك منكسراً**».

قال: يا رسول الله، استشهد أبي، وترك عيالاً وديناً.

قال: «**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك**».

قال: بلى، يا رسول الله.

قال: «**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال: تمن عليَّ أُعطك!!**

قال: يا رب تحييني فأُقتل فيك ثانية.

قال الرب عزَّ وجلَّ: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون»(٢)، وأنزل الله هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٩].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٤، ١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١) عن جابر، رضي الله عنه.

(٢) حسن أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (٢٨٠٠)، والحاكم (٤٩١٤) عن جابر رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٦٢٤٦).

وكما في حديث آخر: «**فجعل الله روحه وأرواح إخوانه في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل**»[١].

وفيهم أنزل الله هذه الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عِمرَان: الآيات ١٦٩-١٧١].

٢ ـ في السير عند ابن هشام وغيره، أن الرسول ﷺ وقف قبل غزوة أُحُد، يُعلن الحرب على أبي سفيان، ولبس لأمته ﷺ، وهو يتحدث في الناس ويشاورهم، أنقاتل في المدينة، أم نخرج خارج المدينة إلى أحد.

فقال كبار الناس: يا رسول الله دعنا نقاتل هنا.

فقام شاب، من بني عمر بن سالم، فقال: يا رسول الله، لا تمنعني، ولا تحرمني دخول الجنة، فوالله الذي لا إله إلا هو لأدخلن الجنة.

فقال ﷺ ـ وهو يتبسم ـ: «**بمَ تدخل الجنة؟**».

قال: بخصلتين.

قال: «**ما هما**»؟

قال: بأني أحب الله ورسوله كثيراً، ولا أفرّ يوم الزحف.

قال ﷺ: «**إن تَصْدُق الله يَصْدُقك**».

وبدأت المعركة، ودارت رحاها، وأتى الصادق، فصدق الله فقُتل.

فمر ﷺ عليه، وأخذ يمسح التراب عن جبينه، وتدمع عيناه ﷺ، ويقول: «**صدقت الله فصدقك الله**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١)، عن عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (٧١/٤)، وفي «التاريخ» (٦٠/٢)، وانظر: «الإصابة» (٤٥٣/٦).

أرواحنا يا رب فوق أكفنا ... نرجوا ثوابك مغنماً وجوارا
لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو ... نصب المنايا حولنا أسوارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة ... خضراء تنبت حولنا الأزهارا

٣ ـ **جعفر بن أبي طالب**: ترك ماله وولده، وترك أحبابه، وخلاّنه، وجيرانه، وأتى قبل المعركة، فكسر غمده وهذا عند العرب علامة على أنه لن يعود أبداً، وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إن لاقيتها ضرابها[1]

قاتل حتى الظهر، فقطعت يمينه، ثم يساره، ثم قتل شهيداً.

● علامات المحبة:

١ ـ بيع النفس للواحد الأحد، فتغضب لله، وترضى لله، وتقدم لله، وتعطي لله، وتحب لله، وتبغض في الله، وقد ذكرت فيما مضى نماذج لمن باعوا نفوسهم لله.

٢ ـ ومن علامات حب الله عزَّ وجلَّ: الإقبال على الطاعة، وترك المنهيات.

فمن سمع الأذان، فلم يأت إلى المسجد، بلا عذر، فما أحب الله، ومن هجر القرآن، ولم يقرأ فيه، وقدّم قراءة المجلة الخليعة، والجريدة التافهة عليه؛ فما أحب الله، ومن جلس مع جلساء السوء، ورافقهم، وهجر

(١) أخرج الأبيات أبو نعيم في الحلية (١/١١٨)، والبيهقي في «السنن» (١٨٢٥٤)، وابن هشام في «السيرة» (٥/٢٨).

الصالحين والأخيار فما أحب الله، ومن تخلف عن النوافل، وعنده بسطة في الجسم وسعة في الوقت، فما أحب الله.

فمن ادّعى حب الله ثم لم يأت بالطاعات، ويتقدم بالنوافل، فليس بمحب.

في كتاب (مدارج السالكين) يذكر ابن القيم عشرة أسباب للمحبة.. ذكر منها: تلاوة القرآن بتدبر، فإذا رأيت الرجل يحب المصحف، ويتلذذ بالقراءة في المصحف، فاعرف أنه من أحباب الله.

٣ ـ كثرة الذكر.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: الآية ٢٨]، ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢].

وفي الحديث عن عبدالله بن بُسر: أن رجلاً أتى إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به.

قال: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**»(١).

فإنسان لا يذكر الله كثيراً، فهو شبيه بأهل النفاق، الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ١٤٢].

٤ ـ ومن علامات حب الله عزَّ وجلَّ: تعظيم الشعائر.

يروى أن إبراهيم بن أدهم نزل إلى السوق، فوجد صحيفة ملقاة على الأرض مكتوب فيها: (الله).

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٧٢٢٧، ١٧٢٤٥)، والترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وانظر: «المشكاة» (٢٢٧٩).

فقال: يا رب، سبحانك أن يداس اسمك، والله لأطيبن اسمك.

فأخذ الصحيفة، وطيّبها، وعلقها.

فسمع قائلاً يقول في المنام: يا من طيبت اسم الله ليطيبنّ اسمك.

فرفع الله اسمه، فهو من العبّاد الكبار.

سألوا سعيد بن المسيب، وهو مريض، أن يذكر لهم شيئاً من أحاديث الرسول ﷺ، فقال: أجلسوني.

قالوا: أنت مريض.

قال: أيذكر ﷺ، وأنا مضطجع؟

وكان الإمام مالك يحدّث في مسجد الرسول ﷺ فلدغته عقرب، فأخذ يتغير وجهه، فلما انتهى، قيل له: ما لك؟

قال: لدغتني عقرب!

قالوا: ولِمَ لم تقطع الحديث؟

قال: أأقطع حديث المصطفى ﷺ، من أجل عقرب؟

• نماذج من الحب الرخيص:

وهو حب المرأة، والكأس، وحب المعاصي.

يقول أحدهم:

يا من هواه أعزّه وأذلني   كيف السبيل إلى رحالك دُلني!

(يا من هواه أعزه وأذلني) نعم؛ لأنك ذللت لغير الله، فأذلك الله سبحانه وتعالى.

وآخر يدعي محبة الله كثيراً، وفي أعظم المواقف في الحج ينسى الله تبارك وتعالى، وينسى الوقوف بين يدي الله، وينظر إلى امرأة أتت إلى الطواف حول البيت، فأخذ يتغنى في الحرم، ويقول:

قف بالطواف ترى الغزال المحرما ... حج الحجيج وعاد يقصد زمزما
لـو أن بـيـت الله كـلّـم عـاشـقـاً ... مـن قـبـل هـذا كـاد أن يـتـكـلـما

هذا هو الحب الحقير الذي يُحاسب عليه الله.

ولي منظومة للرد على هذا الرجل.. قلت:

قف في الحياة ترى الجمال تبسما ... والطل من ثغر الهمائل قد هما
والمؤمن اطلع الوجود مسلما ... أهلاً بمن حاز الجمال وسلّما
لا والذي جمع الخلائق في منى ... وبدا فأعطى من أحل وأحرما
ما في جميع الأرض أجمل منظرٍ ... مـن مـؤمـن لله جـدّ ويـمـمـا

هذا هو الحب، أما من يتغزل بهذه الأمور ويصرفها لغير الله، فقد كذب على الله.

يقول ابن القيم في (بدائع الفوائد)، وهو يتحدث عن من صرف حبه لغير الله، أن أبا فراس الحمداني الشاعر، أرسل لابن عمه سيف الدولة رسالة يقول فيها:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب ترابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خرابُ

فقال: أحسن كل الإحسان في نظم الأبيات، وأساء كل الإساءة يوم جعلها لمخلوق!

إخواني في الله!! أدعوكم ونفسي إلى حب الله، تبارك وتعالى، وإلى حب رسوله ﷺ، وإلى إقامة البينات على هذه الدعوى، من محافظة على الفرائض، ومن تزوّد بالنوافل، ومن تدبر لكتاب الله، ومن كثرةٍ لذكر الله.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أنباء الأخلاء

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

والصلاة والسلام على معلم الخير، رسول المودة، والمحبة، والألفة، والقربى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد...

أيتها الأمة الخالدة الواحدة!! يقول الله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣].. حبل الله: كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، ولا تفرقوا، ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، يا أمة الإبل والبقر والغنم، يا أمة كانت حقودة حسودة ماردة قبل الإسلام.. فألف بين قلوبكم، ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.. لهذه الآية سبب من الأسباب أورده كثير من المفسرين.

وتعانقوا والبكاء يملأ الساحة.. وكأن الإسلام بدأ من هذا اليوم.. وكأن القرآن نزل الآن.. وعاد ﷺ بالجميع في مسيرة حب إلى المدينة.. فأنزل الله في ضمن الآيات تحذيراً من اليهود.. الذين شتتوا الصفوف وبثوا

الضغينة بين القلوب فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ﴾ [آل عمران: الآيات: ١٠٠ ـ ١٠٣] الآية.

والله عزَّ وجلَّ يصف أولياءه؛ فبماذا يصفهم؟ يقول: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

لكن، والله، لقد وجد في الساحة: من كان شديداً على إخوانه، رحيماً بغيرهم، ووجد من يحمل على إخوانه، وأحبابه من الضغائن، ومن الأحقاد، ومن التشريح والتجريح، ما لا يحمله على عدو الرسالة الخالدة وعدو الرسول ﷺ، وعدو الإسلام.

يا أيها الأخوة، يقول، سبحانه وتعالى، في المؤمنين، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥٤].

فالمؤمن ذليل لأخيه، سهل لين، بشوش الوجه طلق المحيا، متى يكون البر بالمسلم إذا لم يكن في الدنيا؟ متى يكون الوداد إذا لم يكن هنا؟ متى يكون العناق إذا لم يكن في الدنيا؟

والله، سبحانه وتعالى، يمتن على رسوله ﷺ، ويقول له: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

العرب كما قال أحد العلماء: كقرون الثور، كلما قشرت قرناً خرج لك ستة قرون!! العرب أمة قبل الإسلام قطيع من الهمجية، والضياع والغنم، فلما أتى ﷺ لم يفتح السجن، ولم يرفع السوط ولم يأت بالسيف إلاّ بعد أن وعت العقول، وسمعت النقل..

فالله، سبحانه وتعالى، جمعهم لرسوله ﷺ بماذا؟ أبعنفوانه؟ أبسلطنته؟؟ أبخطبه النارية الحماسية؟؟؟..

لا.. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩].

عجيبٌ منهجك، جيدٌ أسلوبك، باهرٌ عرضك، وباهرةٌ شريعتك، كيف استطعت أن تؤلف بين أمة الصحراء فتجعلهم إخواناً؟.

بلال حبشي رقيق من أثيوبيا، لا يساوي في عالم المادة القرشية فلسين، وأبو طالب وأبو لهب، أسياد لا ينظر إليهم إلا من علو، لكن أتى الإسلام فقال: يا أبا لهب، أنت في النار؛ لأنك لم تؤمن بالرسالة، وأنت، يا بلال، سيدٌ قصرك في الجنة كالربابة البيضاء.

وجلجلة الأذان بكل حي ... ولكن أين صوت من بلال
منائركم علت في كل ساح ... ومسجدكم من العباد خالي

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣].

ويقول ﷺ: **«المسلم أخو المسلم»**.

يقول ابن تيمية: الأخوة عقدها الله، عزَّ وجلَّ، فلا تحتاج إلى حلف، ولا تحتاج إلى أسانيد، ولا تحتاج إلى صكوك شرعية، لا، بل عقدها الله من فوق سبع سماوات.

إن يفترق ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا ... دين أقمناه مقام الوالد

«المسلم أخو المسلم»، فإذا كان أخوه فماذا يفعل؟؟

«لا يظلمه ولا يسلمه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد سبق.

وفي رواية: «**لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى هاهنا ـ** ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ **بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم.. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»(١).

وفد رجل على جعفر الصادق، فقال له: يا إمام، فلان بن فلان يغتابك.

فغضب جعفر الصادق غضباً عجيباً، واحمر وجهه، وقال: اجلس، فجلس، قال: أجاهدت الروم؟

قال: لا.

قال: أجاهدت فارس؟

قال: لا.

قال: أغزوت في سبيل الله؟

قال: لا.

قال: فتسلم منك فارس والروم، ويسلم منك الكفار، ولا تسلم منك أمة محمد ﷺ إنه أمر عجيب.

جاء قوم عند محمد بن واسع، فأتى أحدهم يطعن في عرض أخيه.

فقال: اتق الله.

قال: فعل كذا.

قال: أنا لا أقول لك إنه فعل، أو لم يفعل، أما تذكر القطن إذا وضع على عينيك وأنت في القبر، فسكت الرجل.

يقول ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا...**»(٢).

ويقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وقد سبق.

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد سبق.

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) عن أنس رضي الله عنه.

فهل سأل أحد منا نفسه، وهو على الفراش، قبل أن يداعب أجفانه النوم، ألا أحبُّ للإخوة، ألا أحبُّ للمسلمين، ألا أحبُّ للدعاة إلى الله وللعلماء مثل ما أُحب لنفسي؟ ليعلم إن كان لم يصل إلى هذه المرتبة أنه ضعيف الإيمان وأن في قلبه مرضاً.

كيف نتوضأ بالماء البارد، ونزيل القشور، والغبار عن أيادينا، وقلوبنا حارة ملتهبة على عباد الله؟

في «مسند» الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث خصال لا يغلّ عليهن قلب امرىء مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط مِن ورائهم**»(١). هذه الثلاث إذا وجدها العبد في نفسه، فليحمد الله على ذلك.

والرسول ﷺ.. يخبرنا كما في الحديث: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(٢).

فيا إخوتي في الله، يا عباد الله، هذا الكتاب والسنة يخبرنا بأدب الإخاء، بأدب الحب، بأدب الحوار، بأدب تقارب وجهات النظر.

فلننظر بعدها إلى حياة الصحابة رضوان الله عليهم.

ودّع عمر الرسول ﷺ ليأخذ عمرة.

فقال ﷺ وهو يعانقه: «**لا تنسنا من دعائك يا أخي**».

يقول عمر: كلمة ما أريد بأن لي بها الدنيا وما فيها(٣).

إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
آخيتمونا على حب الإله وما كان الحطام شريكاً في تآخينا

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢١٠٨٠)، وابن ماجه (٢٣٠)، وابن حبان (٦٨٠) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) صحيح وقد سبق.

(٣) أخرجه أحمد (١٩٦)، وأبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤) عن عمر، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٢٢٤٨).

هذا هو الحب.. فعمر تلميذ لمحمد ﷺ.. عمر.. قطرة من بحره ﷺ.. ومع ذلك يقول: «**لا تنسنا من دعائك يا أخي**».

ورد عنه في السيرة أنه لما صلّى الفجر قال: أين معاذ؟

قال: ها أنذا يا أمير المؤمنين.

قال: تعال.. لقد تذكرتك البارحة فبقيت أتقلب على فراشي حباً وشوقاً إليك فتعال، فتعانقا وتباكيا.

وعند ابن كثير وابن جرير أن عمر لما سافر إلى الشام قال: أين أخي؟

قالوا: كلنا إخوانك.

قال: أخي أبو عبيدة.

فأتى أبو عبيدة على ناقة ليس عليها قتب، وخطامها من ليف، فتعانقا.

وكان ابن المبارك يقول إذا ودّع أصحابه:

وخفف وجدي أنها فرقة واحد فراق حياة لا فراق ممات

فمتى نشعر بهذه الإخوة تحت مظلة (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله)؟

يقول أبو الدرداء: إن من إخواني من أسميهم في السحر، وأدعو لهم.

فهل أحدنا يقوم في السحر، فيقول: اللهم اغفر لفلان بن فلان، وفلان بن فلان، وفلان بن فلان.. من أصحابه وأحبابه؟

فهذه بضاعة أولئك الملأ الذين نصروا الإسلام، فقد كان الإسلام في عهدهم مرفوع الهامة، قوي البنية، ولما أتى الخلف، أتى الاختلاف وأتى الشقاق، فحاصرنا الأعداء من كل جانب، فهم يختلفون، إلا في حربنا.

فيا إخوتي في الله!! إن مدرسة الصحابة، رضوان الله عليهم، يوم

أتت.. أتت بالحب والصفاء والود.. فكان الواحد منهم إن غاب ثم عاد استُقبل استقبالاً حافلاً.. بعناق وأخوة وحب في الله..

ذكر صاحب «الإحياء» عن ابن عمر أنه قال: والله لو أنفقت أموالي في سبيل الله.. وصمت النهار لا أفطره.. وقمت الليل لا أنامه.. ثم لقيت الله.. لا أحب أهل الطاعة.. ولا أبغض أهل المعصية.. لخشيت أن يكبني الله على وجهي في النار.

هذا أمر.. والأمر الآخر الذي أحب أن ينتبه إليه المسلم هو: أن الخلاف الفرعي لا يوجب الفرقة.. فلا بد أن نميز بين ما يجوز فيه الاختلاف مما لا يجوز.

وأقول: الحمد لله فأكثر خلافات المسلمين في الغالب هي من خلاف التنوع لا خلاف التضاد.. فهو خلاف في الكيفيات.. خلاف في الأساليب.. خلاف في الفرعيات.. وهذا لا يوجب الفرقة، بل يوجب الحب والسعة في دائرة العمل.

أرأيت أن إنساناً رأى أن من الصالح له وللأمة أن يدعو الناس بواسطة مركز صيفي يقيم فيه الكتاب والسنة.. أنقول له فعلك هذا حرام؟

أرأيت إنساناً يقول: أنا لا أستطيع إلا أن أخطب الناس وأوجه الناس.. أتقول له: لا.. هناك أسلوب آخر أصلح من هذا وأسلوبك خطأ؟

لا.. بل نقول: الكل مأجور مثاب ما داموا قد التقوا تحت مظلة الكتاب والسنة، وأما الأساليب فهي متنوعة، وقد علم كل أناس مشربهم ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرّعد: الآية ١٧].

اعمل.. ولكن ليكن مقصدك الله تبارك وتعالى..

اعمل... ولكن ليكن منهجك الكتاب والسنة..

اعمل... ولكن لا تحمل ضغينة على إخوانك، وأحبابك، وأصحابك وإخوانك.. فإنهم يعملون كما تعمل، ويريدون ما تريد.. فالأساليب لا تفرق، والفرعيات لا تخالف.

ثم اعلموا، أحبتي، أن الفرقة شؤم، فلا أشأم من الفرقة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٥].

وأما حديث: «**اختلاف أمتي رحمة**»[1] فإنه لا يصح ولا يثبت حديثاً.. بل هو لا أصل له.. بل إن الاختلاف شر كله.

الأمر الثالث: الذي أحب أن أنبه عليه هو: أن نزن الناس بحسناتهم وسيئاتهم.. يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: الآية ١٦].

مَن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

إن الذي يقوّم الناس، ولا يقوم نفسه: ظالم لنفسه وللناس.

إن الذي يريد أن يجعل الناس في مستوى خيالي من الكمال، ولا يقوّم نفسه في هذا المستوى، فهو ظالم.

وذنبنا وخطيئتنا: أننا نرى الأذى، والقذى في عيون إخواننا، ولا نرى جذع النخلة في عيوننا.

إن جبالنا من الأخطاء نجعلها ذرات، وإن ذرات الآخرين من الأخطاء نجعلها جبالاً.

ترجم الذهبي لقتادة السدوسي.. أحد رواة الصحيحين.. فقال: فيه بدعة.. لا نسكت عن بدعته، ومع ذلك فهو بحر من العلم، راسخ في القرآن، حافظ للحديث.

إن من يبتدع لا نسكت عنه.. ولا نقول له: أصبت، ولا نقول له: بيننا وبينك إخاء، إلا أن تتنازل عن هذه البدعة.

(١) انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم» (٩١/١١)، كشف الخفاء (٦٦/١)، والسلسلة الضعيفة (٥٧).

إن من يخطىء في مسألة نقول له: أخطأت.. لكنْ بالنصيحة.

ومن شهر خطأه أو بدعته.. شهرنا الرد عليه حتى يعود وتحاكمنا إلى الكتاب والسنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّساء: الآية ٥٩]..

الرد إلى الله: أي إلى كتابه..

والرد إلى الرسول: أي إلى السنة.

الأمر الرابع: أيها الإخوة الأبرار.. إن الخطأ يقع من الناس.. والخطأ من المسلمين على قسمين: خطأ بدعة.. وخطأ معصية.

فخطأ البدعة: مرض شبهات.. وخطأ المعصية: مرض شهوات.. فصاحب الخطأ الأول موقفنا منه اليقين، بأن نبصره بالكتاب والسنة والآيات البينات.

فإن أصرَّ واستكبر كان بعد ذلك التشهير.. ليحذره الناس.

أما صاحب المعصية: فإننا ندعوه بالصبر وبالوعد الوعيد.. وبالآيات البينات.. وندعوه للتوبة إلى الله عزَّ وجلَّ.

الأمر الخامس: أنه ينبغي علينا أن لا نهدر حقوق المسلمين.. فإن بعض الناس يحمله الهوى، والتعصب للإسلام إلى أن يعتدي في حكمه.. يعتدي، وهو يقصد الحمية لدين الله، والغضب لشرع الله.. لكنْ يعتدي في حكمه.. والله سبحانه وتعالى طلب أن نكون قائمين بالقسط.. نتكلم بعدل وأمانة.. لأن الإنسان ظلوم جهول.

ولذلك يقول ابن تيمية: يوالى الإنسان على قدر ما فيه من طاعة، ويعادى على قدر ما فيه من معصية.

فأما أن تجعل الناس شكلاً واحداً، وتجعلهم متساوين.. وتقول: كل من دخل في هذه الطائفة فهو ضال، فهذا خطأ؛ لأن الله يحاسب العباد فرداً فرداً ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريَم: الآيات ٩٣-٩٥].

وأن تقول: كل من دخل في هذه الطائفة، فهو: مصيب، ومسدد، ومهدي، وناجٍ من النار.. فهذا خطأ؛ لأنه قد يوجد في أصحاب النقص مَن يكمل الكمّال البشري.

يقول ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١) وقد وجد في القرن الثالث من هو أفضل من بعض الأفراد، الذين كانوا في القرن الأول، ووجد في القرن الثالث من هو أفضل من بعض الأفراد في القرن الثاني، فالحديث يحكم على الجملة، فجملة هؤلاء أفضلُ من جملة هؤلاء.. لا يمنع أن يكون فرداً من هؤلاء أفضل من فرد من هؤلاء، لكن الخيرية تبقى في القرن الأول، فالثاني، فالثالث.

الأمر السادس: والذي يجب أن يتنبه إليه: أنه ينبغي علينا أن نأتي إلى أمرٍ سواءٍ بيننا، وهو: الكتاب والسنة، وأن نجعل كل ما نشتغل به، ونفكر فيه من العلم والدعوة على الكتاب والسنة، وأن نشغل أوقاتنا بالكتاب والسنة، ففيهما الخير، والعطاء، واليمن، والبركة..

فإذا فعلنا ذلك، صلح الأمر بإذن الله.. فصاحب الخطأ يكتشف خطأه من القراءة في الكتاب والسنة.. ومن عنده شك، أو ارتياب داوى نفسه من الكتاب والسنة، ومن عنده زيغ أو انحراف عالجه بالكتاب والسنة.

الأمر السابع: أن الولاء والبراء لله، تبارك وتعالى، ولكتابه، ولرسوله، وللمؤمنين ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: الآية ٥٥]، والخطأ كل الخطأ: أن نجعل مناهج: نوالي، ونعادي عليها، ونحب ونبغض فيها، ونواصل ونقاطع عليها، فهذه عبادة لهذه المناهج من دون الله، تبارك وتعالى.. ولو قال أصحابها: نحن لا نعبدها.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٩١)، عن هذه الآية: وأنت تجد كثيراً من المتفقهة، إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً، ولا يعدهم إلا جهالاً ضلالاً، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً، وترى كثيراً من المتصوفة والمتفقرة[1] لا يرى الشريعة ولا العلم شيئاً، بل يرى المتمسك بها منقطعاً عن الله، وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئاً. وإنما الصواب: أن ما جاء به الكتاب والسنه من هذا وهذا: حق، ومن خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا: باطل. اهـ.

وهذا هو عين العدل والإنصاف، وهذا التحقيق في هذه المسألة، وبه نطق ظاهر القرآن، وصحيح السنة، وعليه عمل الأئمة العدول من سلف الأمة الأخيار.

فالولاء والبراء لا يكون إلا في الله، عزَّ وجلَّ، نوالي على شريعته، ونعادي عليها.

الأمر الثامن: أنه ليس ثم معصوم إلا رسول الله ﷺ.. ومن جعل بعض الدعاة.. أو بعض العلماء معصومين فقد أخطأ سواء السبيل ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزَاب: الآية ٢١].. فالعصمة له ﷺ، وهو الذي يتحاكم إلى شريعته مع القرآن، وسنته مع القرآن ﷺ.

وأما غيره فيترحم عليهم، ويعلم أنهم أجادوا، وأنهم أحسنوا.

(١) قال د/ العقل معلقاً: هم طائفة من دراويش الصوفية، الذين يظهرون الفقر ويتكلفونه، ويتعبدونه على جهل، وينشدون العزلة، أو السياحة الهائمة دون قصد، وينتقصون العلم الشرعي، ويرونه علماً بالظاهر، لا ينفع صاحبه، وأكثرهم من ضعاف العقول، ولبعض العامة الجاهلين فيهم اعتقادات، ويسمونهم: المجاذيب، أو الدراويش، أو أهل الله، ويزعمون أن الله وضع سره فيهم... الخ من الاعتقادات الباطلة، نسأل الله السلامة والعافية. اهـ

قلت: وقد أظهر شيخ الإسلام عوارهم وبطلان مذهبهم في أغلب أجزاء المجلد (١١) كما في «مجموع الفتاوى».

أقلوا عليهم من اللوم لا أباً لأبيكمو　　أو سدوا المكان الذي سدوا

الأمر التاسع: أن نهتم بالعلم الشرعي المؤصل، دون الفكر؛ لأن الفكر ليس له ضابط، فهو يتجدد كل يوم، كدرجات الحرارة، يزيد وينقص.. فإذا ما تمسكنا بالفكر أخذنا خيوطاً من بيت العنكبوت، تقطع في أيدينا، لأن هذا يقول فكراً، وهذا يقول فكراً، وذاك يعارضه بفكر، فأصبحت المسألة في حيص بيص!!

تكاثرت الظباء على خراش　　فما يدري خراش ما يصيد

هذا يأتينا في الظهر بفكرة، ويقول: أنا أؤيدها، وأبني عليها المسائل، وفي العصر يعود ويتوب منها.. وفي صلاة المغرب يعود إلى فكرة ثانية، وفي العشاء يتوب منها.

فالله الله في العلم الشرعي العميق.. مع الإحاطة بأفكار المختلفين.

الأمر العاشر: أنه ينبغي لنا: أن نتذكر حقوق المسلم على المسلم.. كالحب، والإخاء، والرحمة؛ حتى ينتشر التآلف بيننا، ونعود كقلب واحد ينبض بالإيمان.

إذا لقيت أخاً لك هل عانقته بحرارة؟.. هل تبسمت في وجهه؟ يقول ﷺ: **«تبسمك في وجه أخيك صدقة»**(١).

وقال جرير بن عبدالله: والله ما رآني ﷺ إلا تبسمَ في وجهي(٢).

قيل لأحد العلماء: ما هو السحر الحلال؟

قال: تبسمك في وجوه الرجال.. فالتبسم هذا أمره عجيب.. يحبه الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين.. وأما الكبرْ والعبوس فليس يصلح إلا للمنافقين.. أو أصحاب القلوب المريضة.

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، وابن حبان في «الإحسان» (٤٧٤، ٥٣٠) عن أبي ذر، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (١٩١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٥) عن جرير بن عبدالله، رضي الله عنه.

وجوههم من سواد الكبر عابسة كأنما أوردوا غصباً إلى النار
هانوا على الله فاستاءت مناظرهم يا ويحهم من مناكيد وفجار
ليسوا كقوم إذا ما لاقيتهم عرضاً يحذوك من نورهم ما يتحف الساري
تروى وتشبع من سيمات طلعتهم بوصفهم ذكّروك الواحد الباري
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

شيخ الإسلام ابن تيمية أُحضر من السجن مكتفاً في الحديد.. والذي سجنه أعداؤه الجالسون أمامه، فقال الناصر قلاوون لابن تيمية: أفتني بسفك دماء هؤلاء، لأن بينه وبينهم عداوة، فقد أفتوا ببطلان بيعته.

فقال ابن تيمية: لا.. إن الله أمرنا أن نكون قائمين بالقسط، وخيرهم أكثر من شرهم، فأطلق سراحهم الناصر.

فقال أحدهم وهو ابن مخلوف: عجباً لابن تيمية قدرنا عليه فحبسناه في الحديد.. وقدر علينا فعفى عنّا!

ومن حقوق المسلم: أن تسلم عليه، وإذا استنصحك أن تنصحه، وإذا مرض أن تعوده، وإذا مات أن تتبع جنازته.

قال الله سبحانه وتعالى عن رسوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧].

قال العلماء: لم يقل: وما أرسلناك إلا رحمة للمؤمنين.. فيخرج الكفار.

ولم يقل: للرجال فيخرج الإناث.

ولم يقل: للإنسان فيخرج الحيوان.

بل كان رحمة للناس، أما المؤمنين فوالله أعظم رحمة.. هي: رحمة الهداية، ورحمة الاستقامة، ورحمة التوفيق، ورحمة النجاة من النار.

وأما للكافر فالله يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٣٣].

وأما رحمة الحيوان، فوردت في أحاديث كثيرة مشهورة.

الأمر الحادي عشر: أن لا ننشغل عن العوالي، وعن المهمات الجسام، بأمور ومسائل، لا تفيد أمتنا، ولا تنفعنا في حياتنا، فهي من فضول العلم.. بل هي من غرائب العلم وأعاجيبه.

فهي كالجدل البيزنطي، الدجاجة قبل البيضة، أم البيضة قبل الدجاجة.

وهي مما يزيد في أسباب الخلاف، ويصرف القلوب إلى الراحة، وحب الجدل والكسل.

الأمر الثاني عشر: أن لا نتعجل بالفتيا والإجابة، حتى نزداد علماً وبصيرة ونحيل العلم إلى أهله.

فقد كان الأئمة العظام، لا يفتون في كثير من المسائل، خوفاً من أن يقعوا في الخطأ.

فأحذركم، ونفسي من عدم التعجل بالتوقيع عن رب العالمين، ولو كانت المسألة في نظرنا سهلة ويسيرة.

أسأل الله أن يحيي معاني الأخوة الإيمانية في قلوبنا، وأن يرد كيد أعدائنا في نحورهم.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محبة المسلم

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً.

حـمـداً لـمـن بَـلّـغـنـا الـمـرامـا وزادنـا مـن فـضـلـه إكـرامـاً
ثـم صـلاة الله تـتـرى مـا سـرى بـرق عـلـى طـيـبـة أو أم الـقـرى
مـع الـسـلام يـغـشـيـان أحـمـدا وآلـه الـمـسـتـكـمـلـيـن الـرشـدا

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى من سار على منواله، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد. .

فقد خرج أبو هريرة، رضي الله عنه وأرضاه، إلى السوق، فوجد الناس يبيعون، ويشترون، ويتعاملون بالدرهم والدينار، فعلم أن هناك تجارة أعظم من تجارتهم، وأن هناك ربحاً، أعظم من ربحهم، فنادى في السوق: يا أهل السوق، أتتبايعون في السوق، وتتشارون، وميراث محمد ﷺ يوزع في المسجد؟!.

فهرع التجار إلى مسجده ﷺ، وظنوا أن هناك: تجارة، وأن هناك: حباً، وزبيباً، وتمراً، وثياباً، ودراهم ودنانير.

فدخلوا من أبوابَ المسجد، فما وجدوا إلا حلقات من العلم يدار فيها: قال الله، وقال رسوله ﷺ.

فأطلوا برؤوسهم من أبواب المسجد، ومن نوافذه، فلم يجدوا شيئاً فعادوا، وقالوا: يا أبا هريرة!! أين ميراث الرسول ﷺ الذي زعمت أنه يوزع في المسجد؟

قال: ماذا رأيتم في المسجد؟

قالوا: رأينا حلقات يدرس فيها القرآن، وتُعَلم فيها السنة.

قال: ذلك ميراثه ﷺ، من أخذه أخذ بحظ وافر.

وسنعيش في هذه الرسالة مع حديث عطر من أحاديثه ﷺ، ومن ميراثه العظيم لنأخذ منه العبر والدروس.

روى البخاري: عن أنس، رضي الله عنه وأرضاه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(١)].

أنس بن مالك: راوي الحديث، هو: أحد أصحاب الرسول ﷺ، وهو من الستة الذين حفظوا جماً غفيراً من السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

أنس كان خادماً للمصطفى ﷺ، ولكنه حر، لم يمسه رق أبداً إلا لله.

ولما قدم ﷺ المدينة، أتت به أم سليم، وقد ألبسته ثياباً، وطيبته، وقالت: يا رسول الله، أنس، ابني، يخدمك فخذه.

فأخذه ﷺ فكان من أحسن الهدايا.

قال أنس: خدمت الرسول ﷺ عشر سنوات، والله ما قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله: لِمَ لم تفعله[(٢)].

وقال أنس: ما مسست حريراً، ولا ديباجاً، ألين من كفه ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٨، ٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

ولا شممت مسكاً ولا عنبراً قط، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ(١).

فدعا له ﷺ بقوله: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»(٢).

فتقبل الله، سبحانه وتعالى، تلك الدعوات.

فأما عمره: فطال حتى قارب المائة، لكنه عمر البركة، واستثمار الأوقات، لا عمر الضائعين.

يقول: دفنت من أولادي، وأولاد صلبي قبل أن يدخل الحجاج ما يقارب المائة.

وأما تكثير ماله: فقد رزقه الله ببركة دعائه ﷺ مالاً كثيراً، فكان له بستان في البصرة، قال أهل السير وأهل التاريخ: كان بستانه يطلع في السنة مرتين.

وذكر ابن قتيبة أن بستانه قحط وأجدب، فأخذ يستغفر ويصلي ركعتين.

قالوا: ما لك تستغفر؟

قال: ليأتي المطر، أما يقول الله على لسان نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: الآيات ١٠-١٢].

فلما فرغ من استغفاره، وإذا السحاب قد أقبل، حتى غطّى بستانه، فأمطر.

ونعود إلى حديث الرسالة:

قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٢، ٦٣٣٤، ٦٣٤٤)، ومسلم (٦٦٠).

في الحديث قضايا:

أولها: هل النفي هنا نسبي أو نفي قطعي؟؟.

إن كان نسبياً فمعناه: لا يؤمن أحدكم إيماناً كاملاً.

وإن كان قطعياً فمعناه: لا يؤمن أحدكم، أي: لا يدخل في الدين حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ويرى بعض أهل العلم أن الألفاظ النبوية إذا وردت: (لا يؤمن) في الفرائض، فإن من لا يأتي بها يكون كافراً.

وأما في الآداب والنوافل فيكون مسلماً ناقص الإيمان، أي: من لا يأتي بها.

أي: يكون إيمانه غير كامل.

ثانياً: في الحديث مفهوم مخالفة صريح، ومفهوم مخالفة بالدلالة الظنية.

أما الصريح: فإن من لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه، فليس بمؤمن كامل الإيمان.

أما الظنية: فإنه لا يؤمن حتى يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه.

لأن بعض الناس قد يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لكنه لا يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه.

وهي لا بد منها.

ثالثاً: المقصود من الحديث: أن تحب له أمور الدين مثل ما تحب لنفسك.

أما أمور الدنيا فعلى التفصيل.

فإن كانت ستعينه على الدين، فأنت تحب له إياها.

وأما إن كانت ستشغله عن الدين، وتجلب له التعاسة، والقلق، والاضطراب.. فلا.

قال الإمام أحمد: وددت أن الله جعلني فداءً لأمة محمد ﷺ.

وما سمعنا بأحد مثل الأنصار أحبوا إخوانهم، وآثروهم أكثر من أنفسهم، كما قال سبحانه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩].

جاء ضيف إلى الرسول ﷺ، فقال لأصحابه: **«من يُضِيفُ هذا؟»**.

فأخذه أنصاري، وذهب به إلى بيته، فلم يجد إلا طعاماً قليلاً، فقال لزوجته: نوّمي الصبية، وألهيهم، لأننا سنقدم طعامنا لضيف رسول الله ﷺ.

فنومت صبيانها، وأشعلت سراجها، وصنعت طعامها، وقربت الطعام، فأكل الضيف حتى شبع.

وفي الصباح أتى الأنصاري رسول الله ﷺ، فتبسم ﷺ، وقال له: **«لقد عجب الله لصنيعكما البارحة»**(١).

والله يعجب، وله عجب يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

وهذا من أحاديث الصفات التي أثبتت العجب.

والسر فيها: أن هؤلاء آثروا على أنفسهم، وبهم خصاصة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وحقوق المسلم: منها واجبات، ومنها ما هي مستحبات.

الواجبات: نص الرسول ﷺ على ست أو خمس منها في الحديث المتفق عليه وهي: **«إذا دعاك فأجبه»**، إلا أن يكون هناك منكر، **«وإذا عطس فحمد الله فشمته»**، وإذا لم يحمد الله، فلا تشمته، **«وإذا استنصحك فانصح**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

له»، «وإذا مرض فعده»، «وإذا مات فاتبع جنازته»، «وإذا لقيته فسلم عليه»(١).

أما الآداب فهي كثيرة:

منها: أن تحفظه إذا غاب.

ومنها: أن تبره.

ومنها: أن تزيل الأذى عنه.

ومنها: أن تظهر السرور إذا ظهر عليه السرور، وتُظهر الحزن إذا ظهر عليه حزن، إلى غير ذلك.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢) عن أبي هريرة، رضي الله عنه واللفظ لمسلم، فالحديث عند البخاري خمس بدون ذكر النصح.

عناق الأشواق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن المحبة في الله، عزَّ وجلَّ، من أعظم عُرى الإيمان وقواعده، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

وللمحبة جسور أقامها ربنا تبارك وتعالى بين المؤمنين، ووصل قلوبهم بها، وقد ذكر سبحانه وتعالى هذه الجسور في كثير من المواضع في كتابه العزيز، كقوله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠].

وقوله جلت قدرته: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣].

ويقول تبارك اسمه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفَال: الآية ٦٣].

وقصرَ سبحانه وتعالى الولاية على المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبَة: الآية ٧١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المَائدة: الآيتان ٥٥، ٥٦].

وقد ذكر النبي ﷺ، جسور المحبة أيضاً، فهو الذي أسسها وأرسى بناءها، ومد حبال الود في قلوب أتباعه إلى يوم الدين.

قال عليه الصلاة والسلام، من حديث أبي هريرة: «**حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[1].

ولما رأيتُ هذا الأمر واضحاً جليًّا، استعنت بالله عزَّ وجلَّ في جمع مادة هذه الرسالة، وقد تناولت فيه بعضاً من تلك الجسور «**جسور المحبة**»، تذكيراً لنفسي أولاً، ثم حثًّا لإخواني على مد هذه الجسور فيما بينهم، لتنتشر المحبة والألفة والمودة بين المسلمين.

فهيا نتحاب.. وهيا نتآلف.. وهيا نتراحم..

---

(١) سبق تخريجه (ص ٥٩).

آداب إسلامية

أولاً: التحية في الإسلام

١ ـ السلام.. تحية الإسلام:

يقول ﷺ في المسلم يقابل المسلم: «**إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه**»(١).

فالسلام، هو: التحية التي أنزلها الله على رسوله ﷺ، وهي: تحية أهل الجنة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٤]، وهي: التحية التي رضيها الله لعباده، ورضيها رسوله ﷺ لأتباعه، وأمته من بعده، ولا يجوز للمسلم أن يستبدل بتحية الإسلام غيرها من تحايا الأمم الأخرى، لا: بصباح الخير، ولا أهلاً وسهلاً، ولا أنعِمْ صباحاً، ولا غير ذلك.

قال عمران بن حصين: كنا في الجاهلية نقول: أنعم الله بك عيناً، وأنعم صباحاً، فلما كان الإسلام، نهينا عن ذلك(٢).

---

(١) صحيح هذا الحديث روي موقوفاً ومرفوعاً من حديث أبي هريرة، وإسناد المرفوع صحيح، رجاله كلهم ثقات، أخرجه أبو داوود (٥٢٠٠) وأبو يعلى (٦٣٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٧٠).

(٢) حسن أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٣٨٥/ ١٩٤٣٧)، وعنه أبو داود (٥٢٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٠٢).

وأخرج ابن أبي حاتم، عن مقاتل بن حيان، قال: كانوا في الجاهلية يقولون: حييت مساءً، حييت صباحاً، فغير الله ذلك بالسلام(١).

إذن، فلا بد أن يبدأ المسلم بهذه التحية العظيمة، بالسلام الشرعي السني الموروث عنه، عليه الصلاة والسلام.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النِّساء: الآية ٨٦].

بأحسن منها: أي تزيد على تحيته، فإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أو بمثلها بأن تقول: وعليكم السلام ورحمة الله.

وعند أبي داود والترمذي ـ بسند صحيح ـ عن عمران بن حصين؛ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس. فقال النبي ﷺ: «**عشر**».

ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس، فقال النبي ﷺ: «**عشرون**».

ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، فجلس، فقال النبي ﷺ: «**ثلاثون**»(٢). أي: ثلاثون حسنة لمن أدى التحية بتمامها.

هذه تعاليمه، عليه الصلاة والسلام، وهذا هديه في تعليم أصحابه. انظر: كيف يُحبّب السنَّة إلى قلوب أصحابه، عن طريق إبلاغهم بالأجر العظيم، الذي ينتظرهم من الله الواحد الأحد، إذا هم طبقوا تعاليمه، وساروا على هديه.

٢ ـ على من نسلم؟!

عند البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟

---

(١) انظر: فتح الباري (٤/١١).

(٢) سنده صحيح أخرجه أحمد (١٩٤٤٦)، وأبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، والدارمي (٢٦٤٠)، وانظر: «المشكاة» (٤٦٤٤).

قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[١].

وهذا - أيضاً - هدي إسلامي نبوي شريف، أن تسلم على من عرفت من المسلمين، ومن لم تعرف.

قال بعض السلف: أصبح السلام عند المتأخرين على المعرفة، وهذه من علامات الساعة، فالواجب على المسلم: أن يفشي السلام بين الناس، من عرف ومن لم يعرف، خَلا أهل الكتاب، خلا المشركين، خلا الوثنيين، فالمسلم هو المقصود بهذا الحديث، وغيره من الأحاديث التي تبين حقوق الناس، بعضهم على بعض، فإذا كان الإنسان يعيش في المجتمعات الإسلامية، فإنه يُطلب منه إفشاء السلام على من لقيه، سواء عرفه وكان صديقاً أو قريباً، أم لم يعرفه.

فمن الملاحظات الاجتماعية: أننا نسلم الآن على المعرفة فقط! وترى الناس في الطرقات، لا يسلمون إلا على من عرفوا!! أما من لم يعرفوه، فلا يسلمون عليه! وهذا من عمل الجاهلية، وهو مخالف لسنته عليه الصلاة والسلام، ففي الصحيحين أن آدم عليه السلام لما خلقه الله قال: «**اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله**»[٢].

هذه هي تحية آدم، وتحية ذريته، وتحية أهل الجنة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم**»[٣].

فبيَّن، عليه الصلاة والسلام، في هذا الحديث: أن الجنة لا تدخل إلا

---

(١) أخرجه البخاري (١٢، ٢٨)، ومسلم (٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦، ٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

بالإيمان، وأن الإيمان لا يحصل إلا بالحب، وأن الحب لا يحصل إلا بإفشاء السلام.

وإفشاء السلام يزيل الضغينة من القلوب خاصة بين الأقارب والجيران.

ومعناه في الإسلام: أنك ترفع رايتك البيضاء المسالمة، كأنك تقول: أتيت أرفع رايتي البيضاء، فأمنوني ولا تتهيبوا مني.

هذا هو شعار المحبة والود، الذي أقامه رسولنا ﷺ، وحثّ على إرسائه، وتثبيته في قلوب أصحابه، وأمته من بعده.

وعند البخاري موقوفاً على عمار بن ياسر، رضي الله عنهما، أنه قال: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»[١]. وبذل السلام للعالم ـ هنا ـ يتضمن: تواضعَ العبد، وأنه لا يتكبّر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضدّ هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد!!

وفي «الصحيحين» عن أنس، رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، مرَّ على غلمانٍ فسلم عليهم[٢].

وهذا من شدة تواضعه، ولينه، ورحمته ﷺ، وهو بذلك يُدخل أعظم البهجة على نفوس هؤلاء الصغار؛ لأنهم سوف يتشرفون بسلام رسول الله ﷺ عليهم، وسوف يحكون ذلك في المجالس.

فعلى المسلم: أن يتواضع لمثل هؤلاء، ولا يتجاهلهم لأنهم صغار، فإنه يتفقدهم، وسلامه عليهم يعلمهم الحب، ويدفعهم إلى مكارم الأخلاق.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً موقوفاً على عمار، رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

وقد رأينا في السيرة أن عمر، رضي الله عنه، على هيبته، وقوته في الحق، أنه كان إذا مرّ بالصبيان وقف، وسلم عليهم، ومازحهم، وهو خليفة المسلمين.

وقد مرّ على صبيان المدينة، وهم يلعبون، فعندما رأوه، وسمعوا جلجلته، وسلطانه فروا إلى بيوتهم.

الشياطين تفرّ من عمر، فكيف بالصبيان؟!!

كيف بالصبيان الذين قلوبهم كقلوب الطير، أما يفرون من إنسان أصاب قياصرة الدنيا باليأس، وأكاسرة المعمورة بالذهول؟!

فَفرُّوا جميعاً إلا عبدالله بن الزبير، فإنه لم يفر، كان شابًا صغيراً، فقال عمر يمازحه: فرَّ أصحابك، ولم تفر أنت، أما خفت؟

قال عبدالله: ما فعلت جرماً فأخافك، وليست الطريق ضيقة فأوسع لك!

فاستدل على ذكائه، وشجاعته من تلك اللحظة، وكيف لا يكون ذكيًا وأبوه: الزبير بن العوام، وأمه: أسماء، رضي الله عنهم، جميعاً؟!

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٤].

٣ ـ أمانةُ تحمل السلام وتبليغه:

كان ﷺ يسلم بنفسه على من يواجهه، ويحمل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين، كما ثبت أنه ﷺ بعث فتى إلى رجل مريض، فلما أتاه قال: إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام[(١)] . . . الحديث.

وكان ﷺ يتحمل السلام لمن يبلغه إليه، ففي الحديث أن جبريل، عليه السلام، نزل من السماء، فأتت خديجة رضي الله عنها، فقال جبريل، عليه السلام: «**يا رسول الله هذه خديجة أتتك بالطعام، فاقرأ عليها السلام**

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٤) عن أنس بن مالك، رضي الله عنه.

من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صَخَب فيه ولا نصب»[١].

وقد بلّغ كذلك ﷺ السلام لعائشة أم المؤمنين من جبريل عليه السلام[٢].

وينتهي السلام على الصحيح عند قول «**وبركاته**». كما روى ذلك أبو داود والترمذي بسند قوي[٣].

وقد زاد بعضهم «**ومغفرته**»، ولكن هذه الزيادة ضعيفة، ذكرها أبو داود في حديث لا يثبت[٤].

وكان عليه الصلاة والسلام، كما عند البخاري والترمذي عن أنس: أنه إذا سلّم سلم ثلاثاً[٥]، ولعل هذا كان هديه ﷺ في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد، إن ظن أن الأول لم يحصل به الإسماع.

وقد ورد في السنَّة: أن الرسول ﷺ ذهب يزور سعد بن عبادة، فأتى الباب فقال: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»، فسمعه سعد فردّ في نفسه، ولم يرفع صوته!

فقال ﷺ: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»، فرد سعد في نفسه، ولم يسمعه صوته!

فقال عليه الصلاة والسلام: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»، فردّ سعد في نفسه، ولم يسمعه صوته!

فذهب ﷺ، فلحقه سعد بن عبادة، وقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما سلمت تسليمة إلا هي بأذني، ولقد رددت عليك، ولم أُسْمِعْك،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢١، ٧٤٩٧)، ومسلم (٢٤٣٢) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٧، ٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧) عن عائشة، رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد (١٩٤٤٦)، وأبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، والدارمي (٢٦٤٠) عن عمران بن حصين، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٤٦٤٤).

(٤) عند أبي داود برقم (٥١٩٥)، وانظر «صحيح الكلم الطيب» (١٥٦ ـ ١٦٢).

(٥) أخرجه البخاري (٩٤، ٩٥، ٦٢٤٤)، والترمذي (٢٧٢٣).

أحببت أن أستكثر من سلامك، ومن البركة، ثم أدخله البيت فقرب له زبيباً، فأكل نبي الله ﷺ، فلما فرغ قال: **«أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون»**[١].

٤ ـ السلام على النساء:

وقد ورد في السنة، أن الرسول ﷺ مرّ يوماً بجماعة من النسوة فألوى بيده بالتسليم[٢].

جماعة من النسوة كن في طرف الطريق وهو مار ﷺ، فالتفت إليهن وقال: **«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»**، وهذا خلقه عليه الصلاة والسلام، لأنه رسول للرجال والنساء جميعاً.

قال بعض أهل العلم: إذا انتفت الموانع، وأمنت الفتنة، فيجوز السلام على النساء، كالعجوز الكبيرة ـ مثلاً ـ فإن عليك أن تسلم عليها وتصحبها، وتسألها عن حالها، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا ـ كما في حديث سهل بن سعد ـ يصلون الجمعة ثم يأتون إلى عجوز في طريقهم، فيسلمون عليها[٣].

وهذا مرغوب فيه، من باب: الرحمة بالكبير من المسلمين، الطاعنين في السن، وهذا مما حث عليه الإسلام في كثير من النصوص، وقد ذهب الإمام ابن القيم[٤] رحمه الله، إلى ذلك.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣/ ١٣٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، والبيهقي (٧/ ٢٨٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٢٠)، وصححه الحافظ العراقي، وابن الملقن وغيرهما..

(٢) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٤٦) وأبو داود (٢٥٠٤)، وابن ماجه (٣٧٠١)، والدارمي (٢٨٠١)، من حديث ابن أبي حسين، عن شهر، عن أسماء بنت يزيد وتابعه عبد الحميد بن بهرام، عن شهر. وأخرجه الترمذي (٢٦٩٧)، وحسنه. وقال الإمام أحمد: لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر.

(٣) أخرجه البخاري (٩٣٨، ٦٢٤٨).

(٤) «زاد المعاد» ٢/ ٤١٢.

● من آداب السلام:

١ ـ صح عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: **«يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير»**(١).

فقوله ﷺ: **«يسلم الصغير على الكبير»** لحكمة، فإن الكبير له حق الوقار، فيبدؤه الصغير بالسلام، فأنت إذا التقيت برجل أكبر منك سنًّا، فالواجب عليك: أن تبدأه بالسلام؛ لتشعره باحترامك له، وتقديرك لِكَبره، ولو بدأك هو بالسلام، فهو أفضل منك بلا شك.

فصغير السن يبدأ بالسلام على الكبير، ويقاس على ذلك: أنه يبدأ العالم، والشيخ الجليل، وعلى من له مكانة ووجاهة، وعلى من له بلاء حسن، أو منزلة في الإسلام، فيبدأ كل هؤلاء بالسلام.

وأما قوله ﷺ: **«والمار على القاعد»**، فالواجب على الماشي: أن يبدأ القاعد بالسلام، لا كما يفعل بعض الناس فهم دائماً ينتظرون من يبدأهم بالسلام على أي حال؛ سواء كان راكباً أو مارًّا أو قاعداً، وهذا خطأ ويُخشى على صاحبه من الكبر، فلا بد من معرفة السنة في هذا الأمر، والالتزام بها كما جاءت عن رسول الله ﷺ، فالمارّ هو الذي يبدأ الجلوس بالسلام؛ لأنه هو الطارىء على المكان، وفي الغالب يكون وحده، بينما يكون الجلوس جماعة.

وأما قوله ﷺ: **«والراكب على الماشي»**، فإن الراكب يسلم على الماشي، ويبدؤه بالسلام، فراكب السيارة ـ مثلاً ـ يسلم على من يمشي، وكذلك راكب الدابة، ونحو ذلك، وقد ذكر بعض الشرّاح لطائف: منها قولهم: إن الراكب يشعر بزهو دائماً، فألزمه الإسلام بالسلام على الماشي، تواضعاً، وخفضاً للجناح، حتى لا يتطرق الكبر إلى صدره.

وقال ﷺ: **«والقليل على الكثير»**، فإذا مرّ الواحد على الجماعة فالواجب أن يبدأ هو بالسلام، وإذا مر الخمسة على العشرة سلّم الخمسة على العشرة، ولم يسلم العشرة على الخمسة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١، ٦٢٣٢)، ومسلم (٢١٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

و«**يجزىء عن الجماعة إذا مرّوا أن يسلم أحدهم، ويجزىء عن الجلوس أن يرد أحدهم**»(١).

وورد عند الترمذي أنه ﷺ قال: «**يسلم الماشي على القائم**»(٢).

فهذه آدابه ﷺ، وهذه تعاليمه، وحكمه، ولطائفه، فإنه لم يترك خيراً إلا وحثنا على فعله، ولم يترك شرًّا إلا وحذرنا منه.

٢ ـ فضل البدء بالسلام:

جاء عن جابر، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليسلم الرّاكب على الماشي، والماشي على القاعد، والماشيان أيهما بدأ فهو أفضل**»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**»(٤).

والمعنى: أن أقرب الناس إلى الله عزَّ وجلَّ وأكثرهم ولاية وحبًّا وزلفى إلى الله الذي يبدأ المسلمين بالسلام، وكانت هذه عادة أخيار الصحابة والتابعين أنهم يبدأون غيرهم بالسلام.

وعن كَلَدَة بن حنبل أن صفوان بن أمية بعثه بلبن ولبأ (أول ما يُحلب عند الولادة)، وجداية (الصغير من الظباء)، وضغابيس (صغار القثّاء) إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ بأعلى الوادي، قال: فدخلتُ عليه، ولم أُسلِّم، ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: «**ارجع فقل: السلام عليكم، أأدخل؟**»(٥).

---

(١) حسن أخرجه أبو داود (٥٢١٠)، وأبو يعلى (٤٤١)، والبيهقي في الشعب (٨٩٢٢) عن علي رضي الله عنه، وانظر: فتح الباري (١١/٧)، والإرواء (٧٧٨).

(٢) صحيح أخرجه الترمذي (٢٧٠٥) عن فضالة بن عبيد، رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٩٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢١٧٧٦)، وأبو داود (٥١٩٧)، والترمذي (٢٦٩٤) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وانظر: المشكاة (٤٦٤٦).

(٥) صحيح أخرجه أحمد (١٤٩٩٩)، وأبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠)، وانظر: «المشكاة» (٤٦٧١).

والشاهد: أن البدء بالسلام يكون قبل الدخول، وقبل الكلام، وقبل أي شيء.

وكان ﷺ كما في حديث عبدالله بن بسر، إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، فيقول: «**السلام عليكم، السلام عليكم**»[1].

وكان من هديه عليه الصلاة والسلام، أنه يبدأ من لقيه بالسلام وكان يحرص على ذلك، خلافاً للمتكبرين، فإنهم يتحرون أن يبدأهم الناس بالسلام.

وابتداء السلام بلفظ: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»، ويرد الراد «**وعليكم السلام**» بالواو. وقد أثبتها النووي وابن القيم، وهي أجمل وأحسن من لفظ: «**عليكم السلام**».

ويكره أن يقول المبتدىء: «عليك السلام»، قال أبو جُرَيٍّ الهجيميُّ: أتيت النبي ﷺ، فقلت: عليك السلام يا رسول الله.

فقال: «**لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى**»[2].

فعلينا تجنب قول: «عليك السلام»، فإنهم كانوا يحيون موتاهم بذلك، كما قال الشاعر لما مرّ بقبر قيس بن عاصم:

عليك سلام الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمتهُ ما شاء أن يترحَّما

فبدأ بالجار والمجرور؛ لأنه على ميت.

فكره النبي ﷺ أن يحيى بتحية الأموات، ومن كراهته لذلك لم يرد على المسلِّم بها.

٣ ـ آداب السلام في المجالس:

قال، عليه الصلاة والسلام: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم،**

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٥١٨٦)، وانظر: المشكاة (٤٦٧٣).

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٥٢٠٩)، والترمذي (٢٧٢١)، وانظر: المشكاة (١٩١٨).

فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»[١].

والمعنى: إذا أردت أن تودع إخوانك وأصحابك، تسلم فتقول، وأنت تغادر المكان والمجلس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذه سنة غفل كثير من المسلمين عنها، حتى تجد الكثير يقول: في أمان الله، أو أستودعكم الله، ويترك هذه السنَّة العظيمة التي نصّ عليها رسول الهدى، عليه الصلاة والسلام!

وعنه ﷺ أنه قال: «**إذا لقي أحدكم صاحبه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه، فليسلم عليه أيضاً»**[٢].

وقد ورد هذا من عمل الصحابة، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون، فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة تفرقوا يميناً وشمالاً، وإذا التقوا من ورائها، سلم بعضهم على بعض»[٣].

ويقاس على هذا: الداخل والخارج في المجلس، فإنه يسلم كلما دخل أو خرج، وهذا فعل حسن يثاب فاعله.

٤ ـ آداب السلام عند دخول المسجد:

قال ابن القيم، يرحمه الله: ومن هديه ﷺ أن الداخل إلى المسجد يبتدىء بركعتين تحية المسجد، ثم يجيء فيسلم على القوم.

واستدل، رحمه الله، بحديث رفاعة في المسيء صلاته، أنه صلى ثم

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٧١٠٢، ٧٧٩٣)، وأبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٩٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٤٦٦٠).

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٥٢٠٠)، وابن عدي في «الكامل» (٤٠٥/٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً، وهو عند البخاري في «الأدب المفرد» (١٠١٠)، وأبي داود (٥٢٠٠)، وأبي يعلى (٦٣٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٥٦) عن أبي هريرة، رضي الله عنه موقوفاً، وانظر: المشكاة (٦٣٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٦١).

أتى فسلّم، فقال له ﷺ: **«وعليك، فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ..»** الحديث[١].

وهذا رأيه، يرحمه الله، ولكن ليس هناك دليل أن الرجل لم يسلم أول ما دخل المسجد، ثم إنه قد يكون بعيداً في طرف المسجد فابتدأ بالصلاة أولاً، ثم جاء فسلم.

والأقرب: أنه إذا دخل المسلم المسجد، فعليه أن يسلم على إخوانه المسلمين، ثم يصلي ركعتين.

وإذا سلم عليك مسلم وأنت في الصلاة ـ نافلة كانت أو فريضة ـ فإن السنة في ذلك، أن تبسط يدك فتجعل باطنها إلى الأرض، وظاهرها إلى اتجاه وجهك، ولا تقل بلسانك وأنت في الصلاة: وعليكم السلام.

وبعض أهل العلم يقول: تشير بسبابتك، ولكن بسط الكف أولى عند أهل العلم، وهو القول الراجح.

٥ ـ آداب السلام على الأهل:

كان ﷺ إذا دخل على أهله بالليل، يسلم تسليماً لا يُوقظ النائم، ويسمع اليقظان[٢].

فلا يدخل الإنسان على أهله، فيسلم بإزعاج، فيوقظ أهله! فانظر إلى لطافته ورقته ﷺ.

أما حديث: **«السلام قبل الكلام»**، فهو باطل لا يصح عنه ﷺ، فقد ورد عند الترمذي من حديث جابر[٣]، لكن في سنده عنبسة بن عبدالرحمٰن،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧، ٧٩٣)، ومسلم (٣٩٧) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٠٥٥) عن المقداد بن عمرو، رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي برقم (٢٦٩٩)، وأخرجه أيضاً أبو يعلى (٢٠٥٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٤)، وانظر: العلل المتناهية لابن الجوزي (١١٩٧)، وكشف الخفاء (١/٥٥٠)، والمشكاة (٤٦٥٣).

وهو متروك، ورماه أبو حاتم بالوضع، فقال: وضّاع: يعني: كذّاب، كما أن شيخ عنبسة، وهو: محمد بن زاد: متروك، فالحديث باطل.

٦ ـ حكم السلام على أهل الكتاب:

كان ﷺ لا يبدأ أهل الكتاب بالسلام، وقد صحّ عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام**»[1]. فالسنَّة لمن يعمل مع اليهود والنصارى أن لا يبدأهم بالسلام، لكن إذا سلموا قال: وعليكم.

ومر ﷺ كما في البخاري ومسلم وأحمد، على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فسلم عليهم[2].

فإذا مررت بمجلس فيه مسلمون (وهذا شرط)، وفيه يهود ونصارى، فسلّم عليهم السلام الشرعي.

وكتب عليه الصلاة والسلام، كما في البخاري ومسلم لهرقل وغيره: «**السلام على من اتبع الهدى**»[3].

وقد ورد ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى في قول موسى لفرعون: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: الآية ٤٧].

فإذا سلمت أو كتبت رسالة لأهل الكتاب فإنك تقول: «**السلام على من اتبع الهدى**»، لكن لا تبدأهم بالسلام.

٧ ـ ترك السلام على العاصي حتى يتوب:

كان من هديه ﷺ ابتداءً وردًّا ترك السلام على من أحدث حدثاً حتى يتوب منه، كما فعل ﷺ بكعب بن مالك وصاحبيه كما عند البخاري

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٦، ٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨)، وأحمد (٢١٢٦٠)، والترمذي (٢٧٠٢) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧، ٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣) عن أبي سفيان رضي الله عنه.

ومسلم والترمذي وأبي داود وأحمد، فإن الرسول ﷺ لم يكن يبدؤهم بالسلام، بل قال كعب بن مالك: فكنت أسلم على الرسول ﷺ فلا أدري، هل يردُّ عليّ أم لا؟! وهل حرك شفتيه بالسلام أم لا[(١)]؟!

ومثل ذلك المبتدع الذي عُرف بابتداعه، أو أحدث حدثاً في الدين، فلك أن تهجره وتسلم عليه، ولا ترد عليه السلام حتى يتوب، وذلك بعد نصحه وتخويفه وحثه على ترك الابتداع في الدين.

وكذلك مثل من ترك صلاة الجماعة بلا عذر وهو جار للمسجد، معافى، وفي صحة طيبة، فلك أن تهجره من السلام ومن الرد حتى يصلي مع الجماعة.

وورد من حديث أبي أيوب الأنصاري، أن الرسول ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[(٢)].

وهذا في أمور الدنيا، فإن الغضب والغيظ في الدنيا ينتهي بثلاث، ويحرم الهجر بعد ذلك، أما في الدين فلا ينتهي حتى يتوب من خطئه، ويتوب من ابتداعه.

ثانياً: إجابة الدعوة

١ ـ حكم إجابة دعوة المسلم:

ومن جسور المحبة قوله ﷺ: «**وإذا دعاك فأجبه**»[(٣)]، ومن الدعوات ما تكون واجبة، ومنها ما تكون سنَّة، ومنها ما يحرم إجابتها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨، ٦٢٥٥)، ومسلم (٢٧٦٩) وغيرهما عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧، ٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

(٣) هذا حديث الباب، سبق تخريجه.

فأما ما هي واجبة، فدعوة الزواج - إذا لم يكن هناك منكر -، ففي حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: **«إذا دُعِيَ أحدكم إلى الوليمة فليأتها»**(١).

والوليمة، هي: وليمة العرس.

وفي لفظ: **«إذا دعا أحدكم أخاه فليجب، عرساً كان أو نحوه»**(٢).

قال أهل العلم: هذا الأمر للوجوب، أي: يجب عليك شرعاً أن تجيب الداعي، ما لم يكن هناك منكر، مخالف للشرع.

٢ - آداب الدعوة:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«شرّ الطعام طعام الوليمة، يُمنعها من يأتها، ويدعى إليها من لم يأتها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»**(٣).

فشر الولائم التي للرياء والسمعة، يُدعى إليها عِليةُ الناس، ويمنع منها الفقراء، وفي الحديث: **«إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم، وإن شاء ترك»**(٤).

فأنت تحضر، وليس المقصود، أن تأكل، فإن البعض الآن إذا دُعي إلى وليمة قال: ما أستطيع؛ لأني أكلت، أو يقول: لا أريد الأكل، فهذا خطأ، ليس المقصود: أن تأكل، احضر، وادع لهم، وتحدث معهم، وآنسهم، فإن كثيراً من السلف كانوا يحضرون، وهم صيام، فكانوا يدعون لأهل المنزل من حُسْن خلقهم.

وورد عن النبي ﷺ: **«طعام الوليمة أول يوم حق، وطعام الوليمة في**

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٣)، ومسلم (١٤٢٩).

(٢) عند مسلم برقم (١٤٢٩/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢) واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٣٠) عن جابر رضي الله عنه.

اليوم الثاني سنّة، وطعام الوليمة في اليوم الثالث سمعة ورياء»[١]، رواه أبو داود، وأحمد، وفي سنده مجهول، وهذا الحديث ضعيف، والبخاري يرى تضعيفه.

وقد قال البخاري في الصحيح: لم يوقت النبي ﷺ، يوماً ولا يومين[٢].

فللإنسان أن يزيد على يوم أو يومين أو ثلاث، لكن الأقرب للسنّة يوم واحد، ووليمة واحدة.

والمقصود: إجابة الدعوة إذا لم يكن هناك منكر.

والدعوة لمن سبق: فإذا دعاك داعيان في يوم واحد، أو في أيام مختلفة، فقدّم الذي سبق إلى دعوتك، واعتذر للثاني، وقل له: سبقك فلان بالدعوة، فإذا تساوى أهل الدعوة، فالأقرب منهم: الأولى بالإجابة، وذوي الأرحام: أولى بك بإجابة دعوتهم من الجيران، إذا دعوك معاً.

وإذا كان هناك منكر، فليس عليه أن يحضر ـ كما سبق ـ إلا إذا علم أن في حضوره منعاً للمنكر، أو حدًّا منه، فله أن يحضر.

ثالثاً: الدين النصيحة

١ ـ وجوب النصيحة:

أما قوله ﷺ في الحديث: «**وإذا استنصحك فانصح له**»[٣]، فهذا أدب

---

(١) سنده ضعيف أخرجه أحمد (١٩٨١٢، ١٩٨١٣)، وأبو داود (٣٧٤٥)، والدارمي (٢٠٦٥) عن زهير بن عثمان، رضي الله عنه، وانظر: ضعيف الجامع (٣٦١٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة.

(٣) حديث الباب، سبق تخريجه.

ثالث يبينه، عليه الصلاة والسلام، لنا، وهو شعار المحبة، وهو الواجب الشرعي علينا بعضنا لبعض.

فالنصيحة: واجبة عند أهل العلم، وقد قال ﷺ: «**الدين النصيحة**».

قلنا: لمن؟

قال: «**لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(١).

وقد قال ﷺ، وهذا من باب النصيحة: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، قلنا: يا رسول الله ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟

قال: «**ترده عن الباطل فإن ذلك نصره**»(٢).

فالواجب علينا: أن نتناصح فيما بيننا، والإنسان لا يسلم من الخطأ والنسيان، ونحن جميعاً يعترينا النقص والخطأ في كثير من تصرفاتنا، لأن العصمة لرسول الهدى، عليه الصلاة والسلام، فالواجب على الأخ: إذا رأى أخاه قد أخطأ في مسألة، أو في اجتهاد، أو في تصرف، أو في أسلوب. أن يذهب إليه وينصحه، ولن يجد الناصح إلا الحب، والدعاء، والبشر والاستقبال الحسن.

يقول عليّ، رضي الله عنه: المؤمنون نصحة، والمنافقون غششة.

فإذا رأيت الإنسان ينتقد إخوانه وينالهم في المجالس، ويتعرض لأعراضهم، ثم لا ينصحهم في وجوههم، فاعلم أنه غاش لله ولرسول ﷺ، وللمؤمنين.

ومن علامة المؤمن، إذا أراد أن ينصح، ويعظ أخاه: أن يذهب إليه

(١) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة، ومسلم (٥٥) عن تميم الداري، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٤، ٦٩٥٢) عن أنس، رضي الله عنه، وأخرجه مسلم بلفظ آخر قريباً منه (٢٥٨٤) عن جابر، رضي الله عنه.

ويأخذه على حِدة، وينصحه ويوجهه، ويحن عليه، ويتعاطف معه، ويتلطف به حتى يقوِّمه، إن كان يريد النصح حقًّا، وإن كان يريد التشهير بأخيه المسلم فالله يتولاه، والله حسيبه، والله من وراء قصده.

وقد ذكر الله، عزَّ وجلَّ، في كتابه طريقة الأنبياء في الدعوة، وأنها قامت على النصيحة، فهذا نوح، عليه السلام، يقول لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٦٢].

ويقول لهم ـ أيضاً ـ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ [هُود: الآية ٣٤]، وقال هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: الآية ٦٨].

فهؤلاء هم أنبياء الله عزَّ وجلَّ وصفوة خلقه، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

٢ ـ آداب النصيحة:

للنصيحة آداب ثلاثة:

الأول: الإخلاص.

الثاني: اللين.

الثالث: الإسرار بها.

وكثيراً ما يخطىء العبد، فنحن لسنا معصومين من الخطأ، وإني أكرر ذلك؛ ليعلم الناصح: أن الخطأ والنسيان شيء عادي، مركوز في أصل الجبلة، فلا يتعصب في نصيحته.

من ذا الذي تُرضى سجاياه كلُّها كفى المرءَ نُبْلاً أن تُعدَّ معايبُه

وإن الإسرار بالنصيحة من هديه ﷺ، فإن النصيحة على رؤوس الأشهاد فضيحة.

قال الشاعر:

تعمدني بنصحك في انفراد وجنبني النصيحة في الجماعه
فإن النصح بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيتَ أمري فلا تجزع إذا لم تُلْق طاعه

وكان عمر، رضي الله عنه، يقول: رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي، وكان يستمع للصحابة وهم ينصحونه[١].

رابعاً: تشميت العاطس

١ ـ متى يشمت العاطس وكيفية التشميت؟!

قال، عليه الصلاة والسلام، كما في الحديث: «**وإذا عطس فحمد الله فشمته**»[٢].

ويقول ﷺ: «**إن الله يحبّ العطاس، ويكره التثاؤب**»[٣].

فالعطاس رحمة من الله، والتثاؤب من الشيطان، لأن العطاس فيه تفتح لشرايين القلب، وانشراح للصدر، وهو رحمة من الله، والله أعلم بالسر في ذلك.

فكان الواجب أن تقول: الحمد لله.

أما التثاؤب فإنك تكظم ما استطعت، وقد قال ﷺ كما عند البخاري وأحمد: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه: يرحمك الله، فإذا قال: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»[٤].

---

(١) انظر: سنن الدارمي (٦٤٩).
(٢) حديث الباب سبق تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٢٣، ٦٢٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٢٤)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

وعن أنس، رضي الله عنه، قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ، فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر، فقيل له، فقال: «**هذا حمد الله، وهذا لم يحمد الله**»(١).

وعن أبي موسى الأشعري أنه ﷺ قال: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه**»(٢).

ففهم من الحديث: أنه من قال: الحمد لله، فعلينا وجوباً: أن نقول له: يرحمك الله، وإذا سكت ولم يحمد الله، فليس عليك أن تقول له: يرحمك الله، بل تسكت.

٢ ـ هل التشميت فرض عين أم فرض كفاية؟!

ذهب المالكية، ومنهم: ابن أبي زيد، وابن العربي، إلى أن التشميت فرض عين، وهو الصحيح، فإن على أهل المجلس ـ مثلاً ـ إذا سمعوا «الحمد لله» أن يقولوا: يرحمك الله، لا يكفي منهم واحد، فهو فرض عين، وليس فرض كفاية.

وكان من هديه ﷺ في العطاس، أنه كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض، أو غضّ به صوته(٣).

فالسنّة أن لا يرفع المسلم صوته بالعطاس.

وهناك حديثان ضعيفان أشير إليهما:

الحديث الأول: «**التثاؤب الشديد، والعطسة الشديدة من الشيطان**»،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢١، ٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٩٣٧٠)، وأبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: كشف الخفاء (٢/٤٥٦).

رواه ابن السني، وهو ضعيف لا يصح عنه ﷺ[١].

الحديث الثاني: «**إن الله يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس**»، حديث ضعيف لا يصح عنه ﷺ[٢].

وقد قال، عليه الصلاة والسلام: «**شمّت أخاك ثلاثاً، فما زاد فهو زكام**»[٣].

يعني: أنه يعطس في المرة الأولى، فيحمد الله، فقل له: يرحمك الله.

وفي الثانية، قل له: يرحمك الله.

وفي الثالثة، قل له: يرحمك الله.

وفي الرابعة قل له: عافاك الله.

وقد عطس رجل عنده، عليه الصلاة والسلام، فقال له: «**يرحمك الله**»، ثم عطس أخرى فقال ﷺ: «**الرجل مزكوم**»[٤].

قال ابن القيم: وقوله في الحديث: «**الرجل مزكوم**» تنبيه على الدعاء بالعافية، لأن الزكمة علة، وفيه اعتذار من ترك تشميته بعد الثلاث، وفيه يه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها، فيصعب أمرها، فكلامه ﷺ ه حكمة، ورحمة، وعلم، وهدي.

وقد قال ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على**

---

١) انظر: ضعيف الجامع (٢٥٠٥).
) انظر: ضعيف الجامع (١٧٥٦).
) سنده حسن. أخرجه أبو داود (٥٠٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: المشكاة (٤٧٤٣).
٤) أخرجه مسلم (٢٩٩٣) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

الثلاثة فهو مزكوم، ولا تشمته بعد الثلاث»[١].

وذكر أهل العلم أنه إذا زاد على الثلاث فيدعى لصاحبه بالعافية.

وهنا مسألة:

إذا لم تسمع أنت حمد العاطس، لكن سمع من بجانبه أنه حمد الله، فماذا تفعل إذا تبين لك أنه حمد الله؟

ولو لم تسمعه، فقل: يرحمك الله، أما إذا لم يتبين لك، فلا تشمته.

مسألة ثانية:

هل تُذكّر العاطس إذا نسي الحمد؟

ذهب إلى ذلك نفر من أهل العلم كالنووي، وغيره من العلماء، واستحسنوا ذلك، وقد فعله إبراهيم التيمي، كما فعله ـ أيضاً ـ ابن المبارك، فقد عطس رجل عند ابن المبارك، ولم يحمد الله، فقال ابن المبارك: ماذا يقول الرجل إذا عطس؟

قال: يقول: الحمد لله.

قال: يرحمك الله.

وهناك قول ثان وهو الصحيح: أنه لا يلزمك أن تذكّره، لأنه لو كان يلزمك أن تذكّره لكان النبي ﷺ أولى بتذكير من عطس، ولم يشمته، ولم يذكره، وهذا تعزير له، وحرمان لبركة الدعاء، لما حرم نفسه بركة الحمد.

وقد تعاطس الناس في مجلسه، ولم يذكرهم، عليه الصلاة والسلام، بل لم يشمتهم، وهذا هو القول الراجح.

وكان اليهود يتعاطسون عنده عليه الصلاة والسلام، فيقولون: الحمد لله،

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٦٠٥).

فيقول: «**يهديكم الله، ويصلح بالكم**»[١].

فانظر إلى الحكمة؛ لأن اليهود بحاجة إلى الهداية، وليسوا أهلاً للرحمة، فهل يترحم عليهم، وهم مخالفون؟!

لا، هم بحاجة إلى أن يهديهم الله أولاً، قبل أن يرحمهم، فعدل، عليه الصلاة والسلام، عن لفظ: «**يرحمكم الله**» إلى لفظ: «**يهديكم الله، ويصلح بالكم**».

خامساً: عيادة المريض

١ ـ فضل عيادة المريض والدعاء له:

قال عليه الصلاة والسلام: «**وإذا مرض فعده**»[٢].

وهذا جسر آخر من جسور المحبة بين المسلمين، فمن حق المسلم على أخيه المسلم: إذا مرض أن يعوده، والعيادة لها آداب، ولها فضل من الله عزَّ وجلَّ.

فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**»[٣]، وفي لفظ قيل: يا رسول وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»[٤].

يعني: كأنه يمشي في بساتين الجنة.

وقد عاد، عليه الصلاة والسلام، أصحابه، فقد عاد سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه وأرضاه، ودعا له وقال: «**ولعلك تُخَلَّف حتى يُنتفَعَ**

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٠، ١١١٤)، وأحمد (١٩٠٨٩)، وأبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩)، والحاكم (٧٦٩٩) عن أبي موسى، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٤٧٤٠).

(٢) حديث الباب، سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٨).

(٤) أيضاً عند مسلم (٢٥٦٨).

بك أقوام، ويُضَرَّ بك آخرون»[١].

وعاد، عليه الصلاة، والسلام جابراً، رضي الله عنه، فوجده مغمى عليه، فتوضأ عليه الصلاة والسلام وصب عليه الماء فاستفاق.

وعاد، عليه الصلاة والسلام، أعرابيًا فلما دخل عليه ﷺ قال: **«لا بأس طهور إن شاء الله»**.

فقال الأعرابي: كلا، بل هي حُمى تفور على شيخ كبير تُزيره القبور.

فقال عليه الصلاة والسلام: **«فنعم إذن»**[٢]، فكانت هالكته وقاصمته.

وكان ﷺ إذا عاد مريضاً دعا له، وجلس قليلاً عند رأسه، ووضع يده الكريمة على صدره، وهذا من الأنس والملاطفة.

٢ ـ آداب العيادة:

العيادة عند أهل السنّة كل ثلاثة أيام، إلا أن يكون قريباً كالأب، والابن، والأخ، ومن في حكمهم، أما إذا كان غير ذلك، فإنك تزوره كل ثلاثة أيام، أما أن تأتيه كل يوم، أو تأتيه مرة في الصباح، ومرة في المساء فهذا مزعج!

وقد ذكر الذهبي في ترجمة سليمان بن مهران الملقب «بالأعمش» أنه مرض مرضاً مزمناً، فدخل عليه الناس، وترددوا عليه كثيراً فأزعجوه، فكتب وصف مرضه في ورقة، ووضعها تحت مخدته التي ينام عليها، فكان كلما سأله أحد عن مرضه، أخرج هذه الورقة، وقال له: اقرأ!

فلما كثر الناس عليه، قفز فأخذ المخدة، وجعلها تحت إبطه، ووقف وقال: شافى الله مريضكم!

وعلى المسلم: أن يتحرى وقت العيادة، بحيث يكون مناسباً للمريض، فلا يكون عند نومه، ولا عند طعامه، ولا عند صلاته، ولا في

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٦، ٤٤٠٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٦، ٥٦٥٦) عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

وقت يرى أنه يرتاح فيه المريض، بل يتوخى وقت العيادة المناسب.

ومن آداب العيادة: أنك لا تطيل الجلوس عند المريض، فإن بعض الناس إذا زار المريض زاده مرضاً على مرضه، فيبقى الساعة والساعتين! وهذا ليس من أدب العيادة.

فإذا عدت المريض، وكان مرضه خفيفاً، حسّنت له صحته، وهونت عليه مرضه، وقلت: ما شاء الله، ما كنت أظن أنك هكذا.. صحتك طيبة، وحالك طيبة، شافاك الله وعافاك، قريباً تخرج من هذا المرض ـ إن شاء الله ـ. ونحو ذلك من الكلام، لا أن يأتي العائد بوجه آخر، فيزيد المريض مرضاً على مرضه، فبعض الناس هداهم الله يشعر المريض أنه في أسوأ حال!! وأن مرضه ليس له علاج البتة!! وأنه يجب عليه أن يوصي بماله، ويوزّع تركته! وهكذا حتى يجعل المريض في عداد الموتى!

وهذا خطأ، فالحالة النفسية لها دورها، فأنت إذا أشعرته أنه سليم معافى، يمكن أن يكون ذلك سبباً في شفائه ـ بإذن الله ـ، ولذلك كان النبي ﷺ إذا عاد مريضاً قال له: «**لا بأس.. طهور إن شاء الله**»، ونحو ذلك كما تقدم في عيادته للأعرابي(١).

ولكن يقول أهل العلم: إذا وصلت إلى رجل أصبح قريباً من الآخرة، ومرض مرضاً لا يرجى برؤه، فحسّنْ ظنه بالله، وحسن قدومه على الله، وحسن رجاءه في الله، هذه هي السنّة في العيادة.

سادساً: اتباع الجنازة

١ ـ فضل اتباع الجنازة:

يقول ﷺ في الحديث: «**وإذا مات فاتبعه**»(٢).

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) حديث الباب، سبق تخريجه.

فهذه ضريبة المسلم على المسلم، حتى بعد أن أصبح جثماناً، وأصبحت روحه في عليين، تتبعه، وتقوم بحقوقه، وتشفع له وأنت تصلي على جنازته، وتترحم، عليه وهو في الثرى، وتواصله بالدعاء، وتدعو له بظهر الغيب.

هذه أخوة الإسلام، وهذا ميثاق الإيمان، وتلك حقوق المسلم على المسلم، التي لا تقتصر على الحياة فقط، بل تشمل المسلم بعد موته ـ أيضاً ـ.

قال، عليه الصلاة والسلام، كما عند الترمذي بسند ضعيف: «**من تبع جنازة وحملها ثلاث مرات، فقد قضى ما عليه من حقها**»[(١)].

ولكن في الصحيحين أنه قال: «**من شهد الجنازة حتى يصلى عليها، فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان**».

قيل: وما القيراطان؟

قال: «**مثل الجبلين العظيمين**»[(٢)].

فانظر ما أسهل العمل، وأعظم الأجر.

٢ ـ آداب الجنازة والعزاء:

من السنة: أن يمشي أمام الجنازة، وفي هذا تفصيل، قال ابن عمر: رأيت النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة[(٣)].

فالسنة: المشي أمام الجنازة، لكن الراكب يمشي خلفها، والماشي أمامها، وإن مشى خلفها فلا بأس.

---

(١) سنده ضعيف أخرجه الترمذي (١٠٤١) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (١٦٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح أخرجه أبو داود (٣١٧٩)، والترمذي (١٠٠٧ ـ ١٠٠٩)، والنسائي (١٩٤٤، ١٩٤٥)، وابن ماجه (١٤٨٢)، وانظر: «المشكاة» (١٦٦٨).

وقالت أم عطية ـ كما في الصحيحين: **«نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا»**(١). فالواجب: أن ينهى النساء عن اتباع الجنائز؛ لأن المرأة ضعيفة، وتصاب بالجزع، وربما تفتن، وربما تتسخط على قضاء الله وقدره، فليس للمرأة ـ ولو كانت عجوزاً ـ اتباع الجنازة، ولا زيارة القبور.

وهناك عادات تخالف الشرع، نبه عليها أهل العلم، وكتبوا فيها، وبينوا الخطأ، ونبهوا عليه، وأشاروا إلى الصواب، فجزاهم الله خيراً، ومن هذه العادات:

- الاجتماع على العزاء، ونصب الخيام، والولائم، والقيام بالصياح والنياحة، وضرب الوجه، وشق الجيب، وكذلك الجزع من القضاء والقدر.

- ومن المخالفات الشرعية ـ أيضاً ـ: أن يمزح بعض الناس في العزاء، أو أن يضحكوا مما يثير انتباه الحضور، أو يتحدثوا بإسهاب في أمور الدنيا، وإلى غير ذلك من الصور المخالفة للشرع التي بينها ونبّه عليها العلماء.

هذه بعض جسور المحبة التي أتى بها محمد ﷺ، والتي اتصف بها أصحابه، رضوان الله تعالى عليهم، فحققوا هذه الصفات في عالم الواقع. وكانت استجابتهم استجابة فذة من كل جوانبها، وهم الذين امتلأت قلوبهم بهذه الأخلاقيات حتى أعماقها، فآتت ثمارها بإذن الله، فوصلوا بذلك إلى القمة التي لا يحسن صعودها إلا من أحسن العبودية لله، وتمسك بكتاب الله، وبسنة رسوله ﷺ، واتصف وتخلق بأخلاق الإسلام.

والحمد لله.. ما زال الباب مفتوحاً، وما زالت البضاعة مطروحة أمام الجميع، وليس علينا إلا أن نتاجر مع الله عزَّ وجلَّ، ولا يكون ذلك إلا

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

بالتخلّق بأخلاقيات هذا الجيل العظيم، وإذا فعلنا ذلك فسوف نصل إلى أرقى صورة بشرية يمكن أن يصل إليها الإنسان على وجه الأرض، صورة الإنسان الذي توشك أن تصافحه الملائكة!!

وألف بين قلوبهم

المثل العليا

فن تأليف القلوب نستمده بسند **صحيح** من سيرة النبي محمد ﷺ ومن ميراثه، ومن دعوته، نتذاكره ونتعلمه، ونتربى عليه، كما تربى عليه السابقون الأولون من سلفنا، رضوان الله تعالى عليهم.

وسوف نذكر بعضاً من العناصر التي يقوم عليها بناء هذا الفن الجليل.

١ ـ كظم الغيظ:

ذكر الله، عزَّ وجلَّ، في محكم كتابه أصول هذا الفن، وذكرها رسولنا ﷺ، بكلامه، وبعمله، وبأخلاقه الشريفة العالية ﷺ، فقال المولى جلت قدرته: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٤].

قال أهل العلم: ثلاث منازل: للمبتدئين، والمقتصدين، والسابقين بالخيرات.

المنزلة الأولى: من أسيء إليه فليكظم، وهذه درجة المقصرين من أمثالنا من المسلمين، أن يكظم غيظه، ولا يتشفى لنفسه في المجالس، ولا يتعرض للأعراض.

المنزلة الثانية: فإن زاد وأحسن، ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عِمرَان:

الآية ١٣٤]، فيذهب إلى من أساء إليه ويقول له: عفى الله عنك.

المنزلة الثالثة: فإن زاد وأحسن، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٤]، يذهب بهَديّة، أو يقوم بزيارة إلى من أساء إليه، ويصافحه ويقبله.

قال أهل السيرة: قام خادم على هارون الرشيد بماء حار ـ يسكب عليه ـ فسقط الإبريق بالماء الحار على رأس الخليفة أمير المؤمنين.. حاكم الدنيا!! فغضب الخليفة، والتفت إلى الخادم.

فقال الخادم ـ وكان ذكيًا ـ: والكاظمين الغيظ!

فقال الخليفة: كظمت غيظي..

قال: والعافين عن الناس!

قال: عفوت عنك..

قال: والله يحب المحسنين..

قال: اذهب، فقد أعتقتك لوجه الله!!

٢ ـ نزع الغل والبغضاء:

في معركة الجمل خرجت عائشة، وطلحة، والزبير، وغيرهم، رضي الله عنهم، أجمعين، وخرج الصحابة معهم بالسيوف، وخرج علي، رضي الله عنه، ومعه بعض الصحابة من أهل بدر، ومعهم السيوف يلتقون!

قيل لعامر الشعبي: الله أكبر! يلتقي الصحابة بالسيوف ولا يفر بعضهم من بعضٍ؟

قال: أهل الجنة التقوا فاستحيا بعضهم من بعض!

فلما قُتل طلحة في المعركة ـ وكان في الصف المضاد لعلي ـ نزل عليٌّ من على فرسه، وترك السيف، وترجل نحو طلحة، ونظر إليه، وهو مقتول ـ وطلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ فنفض التراب عن لحية طلحة، وقال: يعز علي، يا أبا محمد، أن أراك على هذه الحال، ولكن أسأل الله أن يجعلني وإياك ممن قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٧].

فانظر إلى الصفاء والنقاء، وانظر إلى العمق، وانظر إلى الروعة! وهم يقتتلون، والدماء تسيل، وعلي يحتضن طلحة ويسلم عليه، ويذكره أنه سوف يجلس معه في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، حقًّا إنه مشهد رائع، وأنموذج باهر.

هذا الأنموذج الحي يدلنا دلالة واضحة على أن هؤلاء البشر لم يخرجوا عن بشريتهم، ولم يكونوا ـ يوماً من الأيام ـ ملائكة، ولكنهم كانوا في أروع صورة بشرية عرفتها الدنيا.

● مر على ابن السمّاك صاحبٌ له عتب عليه، فقال لابن السماك: غداً نتحاسب، يعني: غداً ألتقي معك أحاسبك وتحاسبني، وألومك وتلومني، ونعرف من هو المخطىء منا..

فقال ابن السماك: لا، والله، غداً نتغافر!

فالمؤمنون لا يتحاسبون، ولا يقول أحدهم للآخر: أنت كتبت فيّ كذا، وقلت كذا، وسمعت أنك تغتابني.. و.. إلخ..

لا.. هذا أسلوب خاطىء، والصحيح أن يقول له: «غفر الله لك».

٣ ـ بذل الأعراض والأموال في سبيل الله:

لقد وصل هذا الجيل المبارك إلى حد أن يقوم أحدهم ـ وهو أبو ضمضم ـ يصلي في الليل ثم يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء قائلاً: اللهم إنه ليس لي مال أتصدق به في سبيلك، ولا جسم أجاهد في ذاتك، ولكني أتصدق بعرضي على المسلمين.. اللهم من شتمني، أو سبني، أو ظلمني، أو اغتابني، فاجعلها له كفارة!!

ويروى أن النبي ﷺ حث على الصدقة ذات يوم، فقام علبة بن زيد فقال: يا رسول الله! حثثت على الصدقة، وما عندي إلا عرضي، فقد تصدقت به على من ظلمني.

قال: فأعرض عنه رسول الله ﷺ.

ولما كان في اليوم الثاني قال ﷺ: **«أين علبة بن زيد»**، أو **«أين المتصدق بعرضه، فإن الله تبارك وتعالى قد قبل ذلك منه»**[1].

فهذا هو التصدق بالأعراض، ولا بد أن يبذل الدعاة وطلبة العلم أعراضهم، كما بذلها محمد ﷺ، فإنه بذل عرضه وماله ودمه لهذه الدعوة الخالدة، فعسى الله أن يجعل دماءنا وأنفسنا، وأعراضنا، وأموالنا، وأبناءنا، وأهلنا فداء لـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

٤ ـ تحمل زلات الغير:

ذكر الغزالي ـ صاحب الإحياء ـ أن الحسن البصري، رحمه الله، جاءه رجل فقال: يا أبا سعيد، اغتابك فلان!.

قال: تعال.

فلما أتى إليه، أعطاه طبقاً من رطب، وقال له: اذهب إليه، وقل له: أعطيتنا حسناتك، وأعطيناك رطباً! فذهب بالرطب إليه!

فالمقصود من هذا: أن الدنيا أمرها سهل وهين، وأن بعض الناس يتصدق بحسناته، فلا عليك مهما نالك حاسد، أو ناقم، أو مخالف، أو منحرف!

فاعتبر ذلك في ميزان حسناتك، واعلم أن ذلك رفعة لك.

● ويروى في سيرة موسى ﷺ أنه قال: يا رب، أريد منك أمراً!

قال: ما هو يا موسى ـ والله أعلم به ـ.

قال: أسألك أن تكف ألسنة الناس عني!

قال الله عزَّ وجلَّ: يا موسى، وعزتي وجلالي، ما اتخذت ذلك لنفسي إني أخلقهم، وأرزقهم، وإنهم يسبونني، ويشتمونني!!

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١٣/١٠)، وانظر: «مجمع الزوائد» (١١٤/٣).

سبحان الله!! الله، الرحمن، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفُواً أحد، يُسبّ من الناس!!

هذا المخلوق الضعيف، الذليل الحقير، الحشرة، يخرج نطفة، ثم يسب الله، ويشتمه جلا وعلا؟!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له! أما شتمه فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني**»(١).

فما دام أن الواحد الأحد، سبحانه وتعالى، يسبه ويشتمه بعض الأشرار من خلقه!! فكيف بنا نحن، ونحن أهل التقصير؟!

إذا علم هذا، فإنه خير دليل على المثل العليا التي حملها أصحابه ﷺ، ورضي الله عنهم، فتراضوا واختلفوا، كما يختلف البشر، وأتت بينهم نفرةٌ في أيام من حياتهم!

ولكنهم عادوا في صفاء، وفي عناق، وفي حبور، وفي محبة؛ لأن المبدأ الذي يحملونه مبدأ واحد، وليس مبادىء متعددة، فمبدؤهم: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وما حصل بينهم دليل على أنهم لم يخرجوا عن بشريتهم، ولم يصبحوا ملائكة، ولم يخرجوا من عموم قوله ﷺ: «**كل بني آدم خطاء**»(٢).

ولم يصبحوا كذلك صفحات بيضاء، لا أثر فيها ولا نقيصة، كلاّ ما كانوا كذلك!

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٣).

(٢) صحيح أخرجه أحمد (١٢٦٣٧)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والدارمي (٢٧٢٧) عن أنس رضي الله عنه، وانظر: المشكاة (٢٣٤١)، وصحيح الجامع (٤٥١٥).

كانوا بشراً تعتمل في نفوسهم دوافع البشر، ويتحركون في الأرض بدوافع البشر، ولكنها دوافع البشر في أصفى حالاتها وأعلاها، دوافع البشر حين يتخففون إلى أقصى حدٍّ من ثلة الأرض، فيصعدون أقصى ما يتاح للبشر من الصعود.

كانوا يعملون.. فإذا هبطت بهم ثقلة عن المستوى السامق لم يستكينوا للهبوط، وإنما عادوا يعملون للصعود من جديد.. فيصعدون ويصعدون.

وفي سيرة أبي بكر رضي الله عنه، أن رجلاً قال لأبي بكر: والله يا أبا بكر لأَسُبَّنَّك سبًا يدخل معك في قبرك.

قال أبو بكر: بل يدخل معك قبرك أنت لا معي!!

صدق رضي الله عنه وأرضاه، فإن المسبوب لا يدخل معه السبّ، ولكن يدخل السبّ مع السابّ الذي سلط لسانه على عباد الله. أفيظن هذا الجاهل أنه إذا سب أو شتم أو نال من أبي بكر أن شتمه هذا سوف يدخل مع أبي بكر القبر؟!

فهذا جهل، وأي جهل!!!

ثم انظر وتأمل جواب أبي بكر عليه: «بل يدخل معك قبرك ولا يدخل معي».

فقط كان هذا جوابه؟! ولم يقل له: بل سأسبك سبًا يدخلك قبرك! وسأفعل بك كذا!! وسأريك كذا!! إلخ، لا «بل يدخل معك قبرك»!

وقول أبي بكر، وتصرفه، هو: الصحيح، فإن الكلمة العوراء، والكلمة الآثمة، والكلمة الجارحة، تكون وبالاً وحسرة وندامة على من تجرأ وجرح ونال بها من أخيه.

٥ ـ إنهاء الخصام والسعي إلى الصلح:

قال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتَفَرَّغَنَّ لك!

قال عمرو: إذن تقع في الشغل!

وهذا هو الحق، فإن الذي يتفرغ لينال من الناس، ويشتم الناس، ويكيد للناس، هذا لا يكون فارغاً أبداً! وإنما يشغله الله بالناس! وهذا يضيع عمره في الترهات والتفاهات وما لا ينفع!

وقول عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وأرضاه هو: الصواب، وهو: الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٩].

ويروي أهل الحديث أن عامر الشعبي ـ وهو من علماء التابعين المشهورين ـ قام أمامه، رجل وقال له: كذبت يا عامر!

فقال عامر: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك!!

نعم، هذا هو الحل، فماذا يقول الرجل بعدها، يا ترى؟!

سكت!!

لأن من استطاع أن ينهي الخصام، وأن يجعل للصلح موضعاً، وأن لا يستعدي الناس، خاصة أهل الفضل، وأهل المنزلة، وأهل الصدارة والمكانة، كان محسناً على نفسه، وعلى الإسلام، وعلى المسلمين.

٦ ـ محاسبة النفس:

في سيرة سالم بن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهم، أجمعين، أن رجلاً زاحمه في منى، فالتفت الرجل إلى سالم ـ وسالم علاّمة التابعين ـ فقال له: إني لأظنك رجل سوء.

فقال سالم: ما عرفني إلا أنت!! لأن سالماً، رضي الله عنه، يشعر في نفسه أنه رجل سوء، وهذا صواب؛ لأن المؤمن يرمي نفسه بالتقصير، كلما رآها تعالت، أو تطاولت، أو نسيت، كما أنه يلوم نفسه ويحاسبها، لكن الفاجر والمنافق يزكي نفسه أمام الناس!

كان سعيد بن المسيّب يقوم وسط الليل، ويقول لنفسه: قومي، يا مأوى كل شر!

سعيد بن المسيب يقول لنفسه هذا الكلام!! ونحن ماذا نقول لأنفسنا!! اللهم استرنا بسترك.

هذه هي المثل العليا التي حملها أصحابه ﷺ، وهو الذي رباهم أصلاً على أسس العقيدة وأخلاق الإيمان، وإلا فهم أمة أمية خرجت من الصحراء، لكنه ﷺ بناهم شيئاً فشيئاً، ورصَّع مجدهم، واعتنى بهم، حتى أصبحوا قادة للأمم، وقدوة حسنة للناس!

وقالوا في المثل: «من لك بأخيك كلّه» تريد أخاً مهذباً كلّه، لا، هذا لا يكون.. خذ بعضه، خذ نصفه، خذ ثلثه، خذ ثلثيه.

فهل وجدت في المجتمع المسلم شخصاً ـ مهما بلغ من الرقي، وحسن الخلق ـ أن يكون كلامه، لا حيف فيه ولا نقص؟!

كلا، هذا لا يكون.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: الآية ٢١].

تجد هذا كريماً، لكنه غضوب! وتجد هذا حليماً، لكنه بخيل! وتجد هذا طيباً، لكنه عجول، لأن الله وزع المناقب والمثالب على الناس.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلُّها كفى المرء نبلاً أن تُعَدَّ معايبُه

فإذا عُدَّت معايب الإنسان فاعلم أنه صالح، ولكن بعض الناس لا تستطيع أن تعد معايبه أبداً مهما حاولت!!

لكن بعض الناس لخيره وصلاحه، تقول: ليس فيه إلا كذا، وهذا هو الخيِّر، ومن غلبت محاسنه مساوئه، فهو العدل في الإسلام، ومن غلبت مساوئه محاسنه، فهو المنحرف عن منهج الله عزَّ وجلَّ؛ لأن الله يزن الناس يوم القيامة بميزان آية الأحقاف، يقول تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف: الآية ١٦].

فبين الله في الآية: أن لهم مساوىء، وأنه يتجاوز عنهم سبحانه وتعالى، وأن لهم خطايا، ولهم ذنوب، ولكنهم كما في الحديث: «**إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث**»[(١)].

بعض الناس ماؤه قليل.. أي شيء يؤثر فيه، قطرة تؤثر فيه، ولكن بعضهم لمحاسنه، ومناقبه بلغ قلتين، فمهما وضعت فيه لا يتغير أبداً، لكرمه، وبذله، وعطائه، وعلمه، وسخائه، وفضله، ودعوته، وخيره، وصلاحه، وصدق نيته، إلى غير ذلك من الصفات.

وهذا تأتيه أحياناً نزعات من نزعات الشيطان، لكنها لا تؤثر فيه.

ولذلك يقول ابن تيمية: أما موسى ﷺ، فإنه أتى بالألواح فيها كلام الله عزَّ وجلَّ، فألقاها في الأرض، وأخذ برأس أخيه يجره إليه.

يقول ابن تيمية: أخوه كان نبيًّا مثله، ومع ذلك جرّه بلحيته أمام الناس، ولكنه عفا الله عنه!

قال ابن القيم:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٤٥٩١، ٤٩٤١)، وأبو داود (٦٣)، والترمذي (٦٧)، والنسائي (٥٢) عن ابن عمر، رضي الله عنهما، وانظر: «المشكاة» (٤٧٧)، و«الإرواء» (٢٣).

وفي حديث قال ﷺ: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**»[(١)].

قال ابن القيم: إلا الحدود، وهذه عبارة ثبتت في بعض الروايات من لفظه ﷺ، فإن الناس متساوون في الحدود، لكن في المسائل التي ليس فيها حدود، فعلينا أن نقيل صاحب العثرة ـ من أهل الهيئات ـ عثرته، وأهل الهيئات، هم: الذين لهم قدم صدق في الإسلام، وفي الدعوة، وفي الخير، وفي الكرم، وفي الصدارة، وفي التوجيه، وفي التأثير، وهم وجهاء الناس، وأهل الخير، وأهل الفضل، فهؤلاء إذا بدرت منهم بادرة فعلينا أن نتحملها جميعاً، وعلينا أن ننظر إلى سجل حسناتهم، وإلى دواوين كرمهم، ومنازلهم عند الله وعند خلقه.

يقول بشار بن برد:

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ويقول في بيت آخر:

إذا أنت لم تشربْ مراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُه

فصاحب أخاك، وتحمل منه الزلة، واغفر له العثرة، وتجاوز عن خطئه.

وكان ابن المبارك إذا ذكر له أصحابه قال: من مثل فلان، فيه كذا وكذا من المحاسن، ويسكت عن المساوىء.

وليتنا نتذكر حسنات الناس، فما أعلم أحداً من المسلمين مهما قصر إلا وله حسنات، ولو لم يكن من حسناته إلا أنه يصلي، ولو لم يكن من حسناته إلا أنه يحب الله ورسوله المصطفى ﷺ.

---

(١) حسن أخرجه أحمد (٢٤٩٤٦)، وأبو داود (٤٣٧٥)، والبيهقي في«السنن» (١٧٠٠٦، ١٧٤٠٥) عن عائشة، رضي الله عنها، وانظر: «المشكاة» (٣٥٦٩)، و«صحيح الجامع» (١١٨٥).

يؤتى برجل يشرب الخمر إلى الرسول ﷺ، فأمر به فَجُلِد، وكان قد أتي به كثيراً.

فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به.

فقال المعلم العظيم ﷺ: «**لا تلعنوه!! فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله**»[١].

وفي لفظ، قال رجل: ما له أخزاه الله.

فقال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**»[٢].

فأثبت له ﷺ أصل الحب، وهي حسنة، وأثبت له بقاءه في دائرة الأخوة الإسلامية، وهذه من أعظم الحسنات، فلماذا لا نتذكر للناس محاسنهم، وبلاءهم في الإسلام؟!

إنك لا تجد شريراً خالصاً، إلا رجلاً كفر بالله، أو تعدى على حدوده، أو أعلن الفجور، أو خلع ثوب الحياء، أو عادى الأولياء والأخيار والصالحين، ونبذ الإسلام وراءه ظهريًا.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨١) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

قصص التصافي

مرت نماذج خيرة في حياته ﷺ، سطّرها أصحابه، رضوان الله عليهم، ومن هذه النماذج:

● فهذا أبو ذر، رضي الله عنه، عيّر بلالاً بأمه، فشكاه بلال إلى النبي ﷺ، ثم ندم أبو ذر على ما بدر منه من قول، فوضع خده على التراب، وقال لبلال: والله لا أرفع خدي حتى تطأه بقدمك! فتعانقا، وتصافحا.

● كاد المهاجرون والأنصار أن يقتتلوا وذلك بعد الإسلام! وسلّوا السيوف، وتهيؤوا للقتال! فخرج عليهم الرسول ﷺ وقال: «**ما بال دعوى الجاهليَّة**»، ثم قال: «**دَعُوها فإنها مُنْتِنةٌ**»[(١)].

فبكوا، وأسقطوا السيوف من أيديهم، وتعانقوا.

فهذه الأخوة المعتصمة بالله، نعمة يمتن الله بها على المسلمين، وهي نعمة يهيئها الله لمن يحبهم من عباده، وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع، فيصبحون بنعمة الله إخواناً، وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثأرات القبلية، والأطماع الشخصية، والرايات العنصرية!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر، رضي الله عنه.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣].

● ذكر أهل التاريخ أن الصحابة خرجوا في غزوة بني المصطلق، وكان لعمر مولى اسمه: جهجهاه، فقام فاختصم مع رجل من الأنصار اسمه سنان بن وبرة، فغضب الأخير غضباً شديداً حتى تصايحا.

فقال مولى عمر: يا للمهاجرين!

وقال الأنصاري: يا للأنصار!

فبلغت في النفوس حزازات، وأخبروا بها رأس النفاق، وحربة الردة ـ عبدالله بن أبي بن سلول ـ فقال: صدق المثل القائل: جَوِّع كلبك يَتْبَعْك، وسَمِّن كلبك يأكُلْك! لو أنّا صرفناهم عن دارنا ما فعلوا هذا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

وبلغت الكلمة رسول الله ﷺ، فأخبره زيد بن الأرقم، وصدّق الله قوله، وأتى ﷺ، فأمر أصحابه بالرحيل لئلا يتحدث أهل النفاق في القضية، فأهل النفاق يحبون الشائعات، وهناك أناس في المجتمع لا همّ لهم إلا نشر الشائعات، وتصيد العثرات والزلات، فيصنفون فيها المصنفات، ويزيدون فيها، ويتشاغلون بها، ويلغون في الأعراض كما يلغ الكلب في الماء.

فانظر إلى التصرف الحكيم منه ﷺ، بأن أمر الصحابة بالرحيل لئلا يتحدثوا في المسألة، فيشغلهم بذلك!

ولذلك، فمن أعظم الحلول التي تدحض الشائعات، وتنهي ما قد يحدث بين الأحبة، أن تشغل الناس بالجد، وبالعلم، وبالمسائل العلمية، وتطرح عليهم قضايا الأمة الكبرى؛ لأن قضايا الأمة والإسلام أعظم من قضايانا هذه، وأعظم من المهاترات.

قضايا نشر الإسلام، قضايا محاربة اليهودية العالمية، والعَلْمَانية

والشيوعية والنصرانية، قضايا تأليف هذه الأمة المقدسة الخالدة التي جعلها الله أمة وسطاً، شاهدة على الأمم، تعمل بالكتاب والسنَّة.

وأتى ﷺ إلى سعد بن عبادة فأخبره بالخبر، فقال: يا رسول الله، والله إن شئت لنقتلنه، أو لنمنعنه من دخول المدينة، فإنك الأعز، وهو الأذل.

فقال عمر: ائذن لي أن أقتله يا رسول الله!!

فقال ﷺ: **«يا عمر لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**(١).

هذا هو المنهج الصحيح في التعامل مع الخصوم في هذه المرحلة من مراحل الدعوة المباركة، فالنبي ﷺ عنده منهج دعوي يسير عليه، يريد مصلحة هذه الدعوة، ما عليه من دمه، ولا من نفسه، ولا من ماله، ولا من زوجه، ولا من أهله؛ لأنه يريد للدعوة أن تستمر، وأن يستفيد الناس، وأن يسمع الناس، وأن يتعظ الناس، وأن يهتدي على يديه بشر كثير، أما قضية الانتقام الشخصي، أو أن يقوم الإنسان ويغضب لنفسه، فليست من صفاته ﷺ.

ومنع ﷺ عمر، فأتى عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول فقال: يا رسول الله، سمعت أنك تريد قتل أبي، فإنك إن أرسلت رجلاً ليقتل أبي، والله لا تطمئن نفسي أن أرى قاتل أبي يمشي على وجه الأرض حتى أقتله، فأكون قد قتلت مسلماً بكافر فأدخل النار، لكن يا رسول الله! ائذن لي أن أذهب الآن وآتيك برأس أبي! والله يا رسول الله لئن شئت لأقتلنه، فإنك الأعز، وهو الأذل!!

انظر إلى الإسلام! وإلى عظمة الانتساب إليه؛ فصل بين الولد وأبيه، وهو من صلبه، من دمه، من عروقه!

ثم انظر إلى الإيمان، الذي تغلغل في أحشاء هذا الصحابي الجليل، وتسرب إلى عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح والدم!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥١٨، ٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر، رضي الله عنه.

حقًّا «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تظهر من روائع الإيمان واليقين والشجاعة، وخوارق الأفعال والأخلاق، ما يحير العقول والألباب، ويعجز عن تفسيره أهل البصائر والعقلاء.

ويموت هذا الشقي، فيجيء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ، ويسأله أن يعطيه قميصه يكفِّنُ فيه أباه، فيعطيه، ثم يسأله أن يصلِّي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله!! تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلِّي عليه؟!

فقال رسول الله ﷺ: «**إنما خيرني الله فقال:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٨٠] **وسأزيد على السبعين**».

قال عمر: إنه منافق!!

فصلى عليه رسول الله ﷺ، وصلى معه المسلمون، فأنزل الله عليه قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: الآية ٨٤](١).

● يأتي إلى الرسول ﷺ متخلفون من المنافقين الذين أساؤوا وتركوا الغزو، وخالفوا أمره، وعصوا الله، فيقول أحدهم: يا رسول الله، إني مريض!

قال: «**صدقت**»، وهو ليس مريضاً في جسمه، لكنه مريض القلب.

ويأتيه الثاني فيقول له: امرأتي مرضت في الغزوة!

فقال: «**صدقت**».

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٩، ٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠، ٢٧٧٤) عن ابن عمر، رضي الله عنهما.

ويأتيه الثالث يقول له: فقير ما استطعت أن أشتري جملاً!

فيقول له الرسول ﷺ: «**صدقت**». فيقول تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: الآية ٤٣].

فماذا أحدث ﷺ، بهذا الخلق؟

جمع القلوب بدعوته، وألف بين الأرواح بحكمته، أتاه أحدهم فقال له: والذي لا إله إلا هو إنك أحب إليّ من نفسي!!

وقال الثاني: والله، ما ملأت عيني منه إجلالاً له، والله لو سألتموني أن أصفه لكم، ما استطعت أن أصفه.

والله كانوا يتمنون أن تسيل دماؤهم، وتندق أعناقهم، ولا يُشاك رسول الله ﷺ بشوكة.. هذا هو الحب!

الاجتمـــاع

إننا نختلف عن سائر الأمم، فلم نجتمع على حب الوطن! فالوطنية ليست هي التي جمعتنا، فإن أوطاننا هي كل بلاد المسلمين، وأينما ذكر اسم الله في بلد كان هذا البلد وطناً لكل المسلمين.

ولم نجتمع كذلك على دم، فإن الدم دعوة أرضية لم ينزلها الله في كتابه.

ولم نجتمع على لغة، فإن اللغات شتى.

ولكن اجتمعنا على عقيدة، وعلى مبدأ أتى به محمد ﷺ: «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله».

هذا المبدأ العظيم، جعلنا نتآخى ونجتمع بعد فرقة وشتات.

إنْ كَيْدَ مُطَّرِفُ الإخاء فإننا ... نغدو ونسري في إخاءٍ تالدِ
أو يختلف ماءُ الغمامِ فماؤنا ... عذبٌ تحدَّرَ من غمام واحدِ
أو يختلف نسبٌ يؤلِّفُ بيننا ... دينٌ أقمناهُ مقامَ الوالد

فكلما حدثت جفوة، أو حصل هجر، عدنا إلى الدين، وتذكرنا أننا نصلي الصلوات الخمس، وأننا نتجه إلى قبلة واحدة، ونتبع رسولاً واحداً، ونعبد ربًّا واحداً، ومعنا كتاب واحد، وسنَّة واحدة، فللّه الحمد.

إن ما يجري بين الأحبة من خلاف ـ أحياناً ـ لا يفسد للود قضية،

ولا يغيّر ما في النفوس، فإن الله يقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعَام: الآية ١١٢]، فإنه ـ بمشيئة الله ـ يحدث مثل هذا، وفي ذلك من المصالح العظيمة ما الله به عليم.

يقول المتنبي:

لعل عَتْبَكَ محمودٌ عواقبه ... وربَّما صَحَّت الأجسادُ بالعللِ

ولعلنا نكره شيئاً فيه خير كثير، ونحب شيئاً فيه شر كثير.

ولله الحكمة البالغة.

لا تُدَبِّرْ لك أمراً ... فأولو التدبير هَلْكى
وارض بالله حكيماً ... نحنُ أولى بك مِنْكا

فلا تكره من أمر الله شيئاً، «ورب ضارة نافعة».

فأحياناً تحدث أمور يكون فيها من المصالح العظيمة التي لا يدركها البشر بعقولهم، ولا بتخطيطهم، ولا بتصريفهم!

ومن هذه الأمور ما تكون قوة للإنسان ورفعة، ومنزلة وحماية، وكفارة، ودرجة، وكان يحسب هو أنها نقمة، وأنها ضربة له، وأنها كارثة، فللّه الحكمة البالغة.

ولا بد للعبد أن يقول كلما أصبح وأمسى: «**رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيًّا**»، وذلك كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «**من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً إلا كان حقاً على الله أن يرضيه**»[1].

فإنه ليس بيننا وبين أحد من الناس شجار لأسباب دنيوية، ولا لذواتنا، ولا لأنفسنا، فإن العبد عليه أن يسعى لمصلحة هذا الدين،

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٨٤٨٨)، وأبو داود (٥٠٧٢)، والترمذي (٣٣٨٩)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، عن ثوبان، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٢٣٩٩).

ولمصلحة الأمة، والبلاد والعباد، وأن يسعى لجمع الصف، ونبذ الفرقة، ودرء الفتن عن الأمة حتى تكون الأمة تحت مظلة: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً.

● روى البخاري: عن أنس، رضي‌الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١).

في هذا الحديث مسائل:

أولاً: محبة المؤمن لإخوانه المؤمنين تنقسم إلى شقين:

الشق الأول: التخلي.

والثاني: التحلي.

التخلي من الأخلاق السيئة التي تُؤذي المؤمنين، ولذلك ثبت عنه ﷺ في مسند الإمام أحمد أنه قال: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) صحيح أخرجه أحمد (٢١٠٨٠)، وابن ماجه (٢٣٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٨٠) عن زيد بن ثابت، رضي الله عنه، وانظر: المشكاة (٣٠).

فهذه الثلاث لا بد منها، وهي تسمى التخلي، أي: التخلي عن الأخلاق السيئة.

أما التحلي، فهو: واجب المسلم على المسلم، وهي أمور كثيرة تربو على العشرين، وربما يجمعها بعض المحاور:

الأول: النصيحة، فإن من واجب المؤمن على أخيه المؤمن: أن ينصح له، والذي لا ينصح للمسلمين، ولا ينصح للمؤمنين فهو خائن غاش غادرٌ لله ولرسوله وللمؤمنين، سيحاسبه الله سبحانه وتعالى على عمله السيء والخبيث.

والذي يحمل ضغينة على المؤمنين، لأمر من أمور الدنيا، أو لأمر لا يتعلق بهذا الدين، ففيه شعبة من شعب النفاق، ولذلك يقول جرير بن عبدالله البجلي وفدت على رسول الله ﷺ، فلما رأني قال قبل أن أدخل المسجد: «**يدخل من هذا الباب رجل من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك**»[1]، (لأن جرير بن عبدالله من أجمل هذه الأمة فهو يوسف هذه الأمة).

فلما دخل قال له ﷺ: «**يا جرير ما ذكر لي أحد إلا كان أقل ممن ذُكر لي، إلا أنت فكنت أرفع ممن ذكر لي**» فأخذه ﷺ بيده إلى بيته ثم وضع له مخدة يجلس عليها.

فرفضها تواضعاً لله سبحانه وتعالى.

فتعجب ﷺ منه ووضع أصبعه في بطن جرير وقال: «**أشهد أنك من الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً**»[2] ثم دعاه النبي ﷺ أن يمدّ يده، ليبايعه، فبايعه ﷺ على شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٠)، وأحمد (١٨٦٩٨، ١٨٧٤٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٩٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧١٩٩)، والحاكم (١٠٥٣)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/٣٧٢).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٥٣١ ـ ٥٣٢).

رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم(١).

قال جرير: فوالله ما زلت أنصح لكل مسلم حتى ألقى الله.

ولذلك كان إذا بايع رجلاً يقول: السلعة التي اشتريت منك أحب إليّ من الدراهم التي دفعت إليك، وقد بايعت رسول ﷺ على النصح لكل مسلم، فإن كنت تريد الإقالة أقلتك، حتى لا يغش أبداً.

وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**».

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢).

هذا حديث صحيح وهو أصل من أصول هذا الدين.

الثاني: التودد والألفة للناس، وللمؤمنين خاصة، يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة**».

فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثاً، قال القوم: نعم يا رسول الله.

قال: «**أحسنكم خلقاً**»(٣).

وفي رواية: «**إن أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون**»(٤)، أي: يألفهم الناس ويألفون الناس.

فالمقصود: المؤمنين ليس إلاّ، أما المنافق فله أمر آخر، وكذلك الكافر.

ولذلك يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

(١) أخرجه البخاري ٥٧، ٥٨)، ومسلم (٥٦) عن جرير، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) عن تميم الداري، رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٦٦٩٦) عن عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما.

(٤) صحيح أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦٣/٤)، والطبراني في «الصغير» (٨٣٥)، وفي «الأوسط» (٧٦٩٧)، وانظر: «مجمع» الزوائد (٢١/٨).

أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

وورد عند ابن جرير في «تفسيره» أن الأوس والخزرج كادوا أن يتقاتلوا في مجلس من المجالس، بعد أن أحيا أحد اليهود الخبثاء العداوة بينهم من جديد، وذلك بتذكيرهم بأيام الجاهلية، ومعاركهم الأولى.. فثارت القبيلتان.

فسمع بذلك ﷺ.. فخرج إليهم مسرعاً حتى هدّأ الثائرة وسكّنهم.. إلى أن تآلفوا من جديد.

فنزل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣] فأمرهم سبحانه وتعالى بأن يذكروا هذه النعمة بعد أن كانوا متحاسدين متحاقدين متقاتلين متباغضين، فرجعوا إلى المدينة والرسول ﷺ معهم.

وقام ﷺ وألقى خطبة على المنبر، ودعا بقية الأوس والخزرج، وأخبرهم بهذه النعمة، فعاد الإخاء بينهم(١).

الثالث: من واجب المؤمن على المؤمن: العفو والصفح.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٤]، وهذه من أعظم الآيات في الأخلاق، ومن أراد أن يتعلم الأخلاق فليفهم هذه الآية، وليعي هذه الآية، وليعمل بمقتضى هذه الآية.

كان عمر، رضي الله عنه، يستشير بعض الصحابة فيما يعرض له من أمور.. وكان منهم الحر بن قيس الذي كان من العقلاء.

ولكن.. كان له ابن عم جاهل.. أتى إليه يوماً ما فطلب منه أن يأذن له عند عمر.. فأذن له.

---

(١) انظر القصة عند ابن هشام في «السيرة» (٩٣/٣)، الطبري في «تفسيره» (٢٣/٤).

فدخل على عمر وقال: والله إنك لا تحكم بالعدل ولا تعطي الجزل.

فغضب عمر وأراد أن يبطش بهذا الرجل الذي أساء إليه رضي الله عنه.

فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين!! إن هذا من الجاهلين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٤].

فقال عمر: قد كظمت، وقد عفوت، وقد أحسنت.

قال ابن عباس، رضي الله عنه: كان عمر وقافاً عند كتاب الله عزَّ وجلَّ.

وقد سطّر السلف في هذه المواقف، مواقف العفو والصفح أعظم الصور الرائعة التي تُحفظ من الدهر.

ولذلك يروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه خرج، رضي الله عنه، وهو خليفة للمسلمين، خرج وسط الليل يريد أن يصلي في مسجد بني أمية الجامع في دمشق، وكان يخرج وحده في الليل يتفقد أمور الناس، وربما صلى في المسجد، وربما زار المقبرة، وكان هو الخليفة الوحيد في تلك الفترة، خليفة المسلمين، رضي الله عنه، من المغرب إلى نهر الصين شرقاً.

فلما دخل المسجد في الظلام، وطيء رِجلَ أحد النوّام.

فقال: من هذا الحمار الذي وطئني!

فقال عمر بن عبدالعزيز: أنا عمر بن عبدالعزيز ولست بحمار، ثم صلى، رضي الله عنه، وانصرف!

فيقول العلماء: إنها من حسناته؛ لأن أهل السلطان يغضبون على أدنى شيء، وأما هذا، رضي الله عنه، فإنه ما عقّب.

والعفو والصفح يأتي إما بدُربة واكتساب، يكتسبه الإنسان بالدربة وبالعلم، وبالتدرج، وبالرياضة، ولذلك يقول ﷺ لأشج عبدالقيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**».

فقال: أجبلني الله عليهما أم تخلقت بهما؟

قال: «**بل جبلك الله عليهما**».

قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقٍ يحبه الله ورسوله ﷺ[١].

ومن أحلم الناس وأعظم الناس قيس بن عاصم المنقري، فقد كان الرسول ﷺ يقول له: «**أنت سيد أهل الوبر**»[٢] لأنه من أحلمهم.. فقد ضرب في الحلم والصفح أروع الأمثلة، حتى إنه ما كان يغضب أبداً.

جلس مرة من المرات وهو محتبٍ.. فجاء ولد له فقال: قُتل أخي.

قال: مَن قتله؟

قال: ابن فلانة ـ امرأة كانت عندهم وجلست معهم ـ.

قال الأحنف بن قيس: فوالله ما حلّ قيس بن عاصم حبوته ولا تحرك ولا تغيّر.

فلما انتهى من الحديث قال: جهزوه وغسلوه، ثم ائتوني به لأصلي عليه وأودعه، وخذ مائة ناقة وأعطوها ذاك الولد لئلا يخاف.. وطمئنوا أمه لئلا تظن بنا شراً.. وعفا الله عما سلف!!

قال الأحنف بن قيس: منذ ذلك اليوم تعلمت الحلم.

ولذلك فالأحنف بن قيس، كان هو السيد الحليم الذي أتى بعد قيس بن عاصم.

جاء رجل من بني تميم ـ قوم الأحنف ـ وقال لهم: هل رأيتم الأحنف غضب يوماً من الأيام؟

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٥٢٢٥)، والطبراني في الكبير (٥٣١٣)، والبيهقي في «السنن» (١٣٣٦٥)، وفي «الشعب» (٨٩٦٦) عن زارع بن عامر، رضي الله عنه، وانظر: «مجمع الزوائد» (٢/٩)، والجملة الأولى من الحديث عند مسلم (١٧) عن ابن عبا رضي الله عنهما.

(٢) صحيح أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٥٣)، والحاكم (٦٥٦٦) عن قيس بن عاصم، رضي الله عنه.

قالوا: والله ما رأيناه غضب.

قال: فما لي إن أغضبته.

فوعدوه بشيء من المال.

فدعا رجلاً سفيهاً من سفهاء بني تميم وقال: خذ هذه الجائزة واذهب إلى الأحنف بن قيس ولا تكلمه، وإنما الطمه على وجهه! فإذا سألك فقل: إنني سمعت أنك تعرض لي وتسبني وتغتابني.

فذهب، وإذا الأحنف بن قيس جالس في مجلس بني تميم، فتقدم له ذاك السفيه فضربه على وجهه.

فقال الأحنف: ما لك؟

قال: سمعت أنك تعرضت لي وشتمتني.

قال: من أرسلك؟

قال: فلان بن فلان.

قال: ماذا قال؟

قال: قال لي: اذهب إلى سيد بني تميم فلان فاضربه.

قال: لست أنا بسيد بني تميم، إن سيد بني تميم جارية بن قدامة.

فانطلق هذا السفيه فأتى جارية بن قدامة فضربه على وجهه.

فقام جارية بن قدامة ومعه سيف فضرب يد الرجل فأبانها له!

هذا نموذج للحلم أو الصفح الذي تمثل به أهل الجاهلية في جاهليتهم، والذي زاده الإسلام قوة ومتانة، ولذلك فأحلم الناس رسول الله ﷺ.

دخل أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ بعد تلك الأفاعيل، وبعد أن أخرج رسول الله ﷺ، وحارب الرسول ﷺ وباع أملاكه في مكة فقال: فعلت يا رسول الله، وفعلت، فاعفُ عني.

قال: «**قد عفوت وقد حلمت وقد صفحت**».

فدمعت عينا أبي سفيان وقال: لا إله إلا الله ما أرحمك، ولا إله إلا الله ما أبرك، ولا إله إلا الله ما أوصلك.

ولذلك قال ﷺ في فتح مكة: «**ما ترون أني فاعل بكم؟**».

قالوا: خيراً أخٌ كريم وابن أخ كريم.

فقال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

هذه قضايا هذا الحديث وهو قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه..**»، وبقيت قضايا لفظية في هذا الحديث، منها:

يقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم**»، وورد في لفظ: «**لا يؤمن أحد**»، أي بدون إضافة، وورد «**لا يؤمن عبد**»، وورد «**لا يؤمن مسلم**»، وأشملها: لا يؤمن أحد فهو أعمها في اللفظ وأكثرها فائدة.

ومعنى لا يؤمن: أي الإيمان الكامل، أما أصل الإيمان فقد يحصل بدون أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، لكنه إيمان ضعيف وقليل.

«**ما يحب لنفسه**» قال كثير من العلماء: ما يحب لنفسه من خير الدنيا وخير الآخرة، ولذلك أورد ابن القيم في (الوابل الصيّب) مسألة الإيثار بالقربات وهل هي جائزة؟ أم أنها مكروهة كما قال بعض العلماء.. وهي

---

(١) أخرجه الشافعي في «الأم» (٣٦١/٧)، والطبري في «التاريخ» (١٦١/٢)، وابن حبان في «الثقات» (٥٦/٢)، والبيهقي في «السنن» (١٨٠٥٥)، وانظر: «صحيح الجامع» (٤٨١٥).

مثل أن تترك الصف الأول في المسجد لآخر غيرك إيثاراً له، وابن القيم يرجح جوازها.

والراجح ما ذهب إليه ابن القيم، وهو جيد في بابه، فإن الله سبحانه يثيب ويعطي على مقدار ما فعلت أنت، وما تنازلت عنه في الأحقية من الثواب الذي آثرت به غيرك.

● روى البخاري: عن أبي هريرة، رضي‌الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[1].

وفي حديث أنس قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[2].

هذان الحديثان فيهما قضايا:

القضية الأولى: ما هي لوازم حب الرسول ﷺ؟

قال العلماء: لوازم حبه ﷺ أربعة:

الأمر الأول: طاعته ﷺ فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتصديقه فيما أخبر، وهذه من أصول أهل السنة والجماعة.

الأمر الثاني: كثرة الصلاة والسلام عليه، فإنها من الحقوق المتوجبة على المسلم.

الأمر الثالث: توقيره وتقديره ﷺ.

الأمر الرابع: تقديم قوله على قول غيره.

هذا الإيجاز وإليكم البسط:

أما الأمر الأول: فهو طاعته؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِن

---

(١) أخرجه البخاري (١٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٥).

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمـرَان: الآيـة ٣١]، ولذلك أوصد الله أبواب الجنة إلا من طريق محمد ﷺ، فحرام أن يدخل داخل من أمته الجنة إلا من طريقه.

ولذلك من أراد أن يهتدي بغير هداه فقد ضل سواء السبيل.

والذي اعتقد محبة رسول الله ﷺ، ثم لم يعتقد طاعته فليس بصادق في حبه.

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ولذلك كذّب الله مقالة اليهود لما ادعوا المحبة، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المَائدة: الآية ١٨].

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المَائدة: الآية ١٨].

قال أبو سعيد الخراز لطلابه: ائتوني من القرآن بدليل على أن الحبيب لا يُعذب حبيبه.

فسكت الطلاب.

قال: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المَائدة: الآية ١٨] فمفهوم الآية أن الحبيب لا يعذب حبيبه.

وإذا رأيت الإنسان يقول: أنا أحب الرسول ﷺ، ثم لم يتقيد بالسنة ولم تظهر عليه معالم السنة، فلا تقبل قوله، وكذّبه في الحال؛ لأنه لم يطع النبي ﷺ إلا لعدم كمال الحب.

وأما الأمر الثاني: وهو كثرة الصلاة عليه، فهذا أمر واجب ومسنون، ففي مواقف هو واجب، وفي مواقف هو مسنون.

أما واجبه، ففي التشهد الأول على الصحيح، وفي التشهد الثاني بالإجماع.

وأما المسنون فهو في ما سوى ذلك كخطبة الجمعة، وبعضهم أوجبها فيها، وكالمناسبات التي ذكرها ابن القيم وهي ضمن ثلاثين مناسبة ذكرها في كتاب (جلاء الأفهام).

وورد في الترمذي أن أبيّ بن كعب سيد القراء قال للنبي ﷺ: كم أجعل لك من صلاتي ـ أي دعائي ـ؟

قال: **«ما شئت»**.

قال: أجعل لك الربع؟.

قال: **«ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»**.

قال: النصف؟

قال: **«ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»**.

قال: الثلثين؟

قال: **«ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»**.

قال: أجعل لك صلاتي كلها.

فقال ﷺ: **«إذن يُغفر لك ذنبك وتُكفى همك»**[(١)].

فكان أبيّ، رضي الله عنه، يجعل الدعاء الذي يدعوه لنفسه ولأولاده يجعله خالصاً كله للرسول ﷺ، فلذلك كفاه الله همه، وغفر ذنبه، بهذا العمل العظيم الذي قدّمه للرسول ﷺ.

فالأفضل في حياة المسلم: أن يكثر دائماً وأبداً من الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، وذكر ابن القيم من المواضع التي يُصَلّي ويسلم عليه فيها: دخول المسجد، والخروج منه، والتشهد، ورؤية المساجد، ودخول الأسواق، ودخول البيت، والخروج منه ونسيان الحاجة، وفي وقت الفقر،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي وقت البداية في العلم، وفي البداية في الخطب، والانتهاء من مجالس العلم، وفي لقاء الإخوان والأحباب، وفي موادعتهم ومفارقتهم، وفي مدارسة الحديث النبوي، وعند تذكره ﷺ، وعند ذكر أصحابه، وعند ذكر شيء من أمره، وعند دخول المدينة، وعند المرور على قبره ﷺ.

إلى تلك المواضع العظيمة التي من حفظها وحافظ عليها أعظم الله مثوبته، ورفع درجته، فإن الله سبحانه وتعالى يُعطي العطاء الجمّ، خاصة إذا كان المحب عظيماً عنده سبحانه وتعالى، وهو الذي أوصل لنا الهداية وعرّفنا بربه تبارك وتعالى وأرشدنا أعظم الإرشاد، وهدانا أفضل الهداية ﷺ دائماً وأبداً ما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون.

أما اللازم الثالث لحبه ﷺ فهو: توقيره.

وخير من وقّره وعظّمه التعظيم الشرعي.. هم الصحابة، رضوان الله عليهم، لأنهم عرفوا قدره ﷺ.

يؤثر عن أبي بكر، رضي الله عنه، أنه كلما سمع رجلاً يقول له: السلام عليكم يا خليفة رسول الله... بكى.

لماذا؟ لأنه يتذكر الرسول ﷺ.

ويؤثر عنه أنه إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وذكر الرسول ﷺ يبكي، رضي الله عنه، وربما يكادُ يُغشى عليه.

فأبو بكر، رضي الله عنه، أكثر الناس إجلالاً لرسول الله ﷺ.

أما عمر، رضي الله عنه، فقد ورد في السيرة، وفي التراجم، أنه خرج الجمعة يصلي بالناس، فلبس بردته البيضاء، فلما مر بميزاب العباس بن عبدالمطلب انهل عليه دمٌ من الميزاب فأصاب بردته؛ لأن العباس كان قد ذبح دجاجاً ذلك اليوم.

فقلع عمر الميزاب بدرّته، ثم صلّى بالناس.

فقال العباس: مَن أزال الميزاب؟

فقال عمر: أنا.

قال العباس: والله الذي لا إلٰه إلا هو ما وضعه في ذاك المكان إلا رسول الله ﷺ.

فبكى عمر، وهو واقف مع الصحابة.

فقال للعباس: والله لا يُعيده إلا أنت، ووالله لا تعيده إلا على ظهري! فأعاده رضي الله عنه.

ويُذكر عن سعيد بن المسيب أنه كان في مرض الموت، فسأله سائل عن معنى حديث.

فقال: أسندوني.

فقالوا: يشق عليك ذلك.

قال: والله لا أُسأل عن حديث من حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع!

والأمثلة من توقير السلف لرسول الله ﷺ كثيرة.

الأمر الرابع من لوازم الحب: تقديم قوله ﷺ على قول غيره.

أن ابن عمر، رضي الله عنه، قال: يقول رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»(١).

فقام ولده بلال، وكان عنده زوجة، وقال: والله لنمنعهنّ لا يتخذن المساجد دغلاً(٢).

فسبه ابن عمر، وشتمه، وقال: والله لا أكلمك.

فلم يكلمه حتى مات!

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٤٢).
(٢) دغلاً: أي فساداً وخداعاً وريبة.

فهذه مسألة ينبغي أن ينتبه إليها، خاصة فيمن يطلب العلم، فإنه ينبغي أن يعوِّل على الدليل، فعلم ليس فيه دليل، إنما هو إنشاء وتعبير، وإنما هو مجرد كلام.

يقول ابن تيمية: على طالب العلم أن يُسْند كلامه إلى دليل من المعصوم ﷺ، وأن يعتصم به، فإذا استقر في ذهنه أن هذا الكلام لرسول ﷺ، وأن هذا المراد من كلامه ﷺ، فلا ينبغي أن يُعَوِّل على كلام غيره مهما كان.

• أسباب محبته ﷺ:

أما أسباب حبه ﷺ فإنها أربعة أمور:

الأول: تذكر منّة الله عزَّ وجلَّ على الناس بإرساله، ولولا أن الله أرسله لنا.. لما كنّا شيئاً، ولما كانت لنا قيمة أبداً.

يقول الشاعر:

بشرى معشر الإسلام إن لنا ... من العناية ركناً غير منهدم
لما دعا داعية لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

فأكرم الأنبياء هو محمد ﷺ، وأكرم الأمم أمته ﷺ.

الثاني: استقراء صفات الخير فيه ﷺ، والتفكر في مواهبه ﷺ التي لم يشاركه فيها أحد من البشر، بقراءة كتاب الله، والسنة النبوية، وقراءة سيرته ﷺ.. وهذه الخصال: كالصبر والحلم والشجاعة والتواضع.. إلخ خصال الخير.

الثالث: النظر في يسره ورحمته وشفقته بالأمة.. في الوضوء، وفي الصلاة، وفي الزكاة، وفي جميع الأبواب الفقهية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].

الرابع: أن تعلم أن مقام العبودية لله لا يتم إلا بمحبته ﷺ والاهتداء بهديه ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مواد إلزامية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرو أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى اا عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

فيا أيها الناس!! لما ارتحل ﷺ من مكة إلى المدينة قام بإنجازي عظيمين:

الإنجاز الأول: بناء المسجد للصلاة.

والإنجاز الثاني: توحيد القلوب.

فلما بنى مسجده ﷺ أسسه على التقوى، ولما ألف بين القلوب ألف بينها على التقوى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١٠٩].

اجتمع الناس قبله ﷺ وبعده على روابط:

فمنهم من جعل رابطة الدم هي الرابطة الوحيدة التي تجمع الناس.

ومنهم من رضي باللون، فمايز بين الأبيض والأحمر والأسود.

ومنهم من رضي بالوطن، فعشق الوطن، وعبد الوطن، وتغزل بالوطن، وقبّل تراب الوطن.

فأما محمد ﷺ فأتى برابطة لا تُفصم، ورابطة لا تُقطع، ورابطة لا تموت، ورابطة لا تمرض، لأنها نزلت من عند الذي على العرش استوى.

والله هو الذي ألّف، وهو الذي أنزل.

فأول الرابطة، وأول الحبل عند الله، وآخر الحبل في قلوب المؤمنين، فامتن الله عليهم بقوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٣]، فله الحمد، وله الشكر أن آخى بين هذه الأمة وألّف بين قلوبها.

ومن مميزات هذه الرابطة، أن التفاضل فيها بتقوى الواحد الأحد ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣].

فيتساقط أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، وهم من أشرف أسر مكة، ومن أشرف بيوتات العرب.

ويثبت بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي؛ لأن الرابطة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣].

وهذه الرابطة تصل الدنيا بالآخرة، فهي ليست رابطة أرضية، ولا اشتراكية، ولا شيوعية، ولا قومية، ولا بعثية، ولا ناصرية، حدودها القبر ثم تنتهي.

أما رابطتنا فقبل القبر، وفي القبر، وبعد القبر، وعلى الصراط، حتى نصل إلى الله.

في كفك الشهم من حبل الهدى طرف ... على الصراط وفي أرواحنا طرف
سعد وسلمان والقعقاع قد عبروا ... إياك نعبد من سلسالها رشفوا

فهي رابطتنا التي تصلنا بالله.

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(١).

أين أهل القلوب المتعانقة والأرواح المتآخية؟ اليوم جزاؤهم وثوابهم أن يُظَلوا في ظل الله يوم لا ظل للكيانات، ولا الأنظمة الوضعية، فهذه ميزة للرابطة.

أيضاً هي رابطة ذات مقتضيات ومتطلبات، القيام بها واجب، وتركها حرام منكر.

والذي أتى بهذه الواجبات هو محمد ﷺ.

من أبرزها: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٦٧].

وعن ابن عمر موقوفاً عليه قال: والذي نفسي بيده لو أنفقت أموالي غلقاً غلقاً في سبيل الله، وصمتُ النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، ثم لقيت الله لا أحب أهل الطاعة ولا أبغض أهل المعصية لخشيت أن يكبني الله على وجهي في النار.

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**».

منها: «**وأن تحب المرء لا تحبه إلا لله**»(٢) لا لجنسه، ولا لأسرته، ولا لنسبه، ولا لماله، لكن لأنه عبد لله، ولأنه قريب من الله.

وقد ذكر شيخ الإسلام، رحمه الله، في كلامه عن الولاء والبراء والحب والبغض أن هذا الحب نسبي يتجزأ.

وأنك تحب هذا الرجل بمقدار قربه من الله، وتبغضه بقدر ما فيه من معصية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣) عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، وقد سبق.

فقد يجتمع في الشخص الواحد حب وبغض: تحبه لأنه طائع، وتبغضه لأنه عاصي، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطَّلَاق: الآية ٣].

ولا يجوز الإسراف في البغض، ولا في الحب، وهذا منهج متطرف لا يرضاه الله.

والناس اليوم وللأسف يعتنقونه أو الكثير منهم الآن، حتى في صفوف طلبة العلم والدعاة، فإنه إن رضي عن شخص نسي سيئاته، وإن غضب على شخص ترك حسناته ونسيها، وهذا خطأ.

يقول ﷺ: «**أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»[1].

فلا بد منه في الحب ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٣].

وجعل الله، عزَّ وجلَّ، ميزاناً للإخاء، وميزاناً للحكم، وميزاناً للعدل بين الناس في مبدأ الجرح والتعديل.

فقال في العدو: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المَائدة: الآية ٨].

وقال في القريب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ﴾ [النِّساء: الآية ١٣٥].

فالقريب القريب، لا تحملك قرابته لك أن تنسى سيئاته، والبعيد البعيد لا تحملك عداوتك له أن تنسى حسناته، بل العدل هو المطلوب، وهو الميزان الذي أنزله الله لأفكار الناس، ومعتقدات الناس، وحكم الناس، وأنزل معه السيف.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٧) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وانظر: صحيح الترمذي للألباني (١٦٢٥).

واعلموا، حفظكم الله، أن الرسول ﷺ أقام مدرسة الإخاء، وكان يستعذبها هو وأصحابه.

فهي أخوة الإيمان.

ولما أراد ﷺ أن يتزوج عائشة، قال أبو بكر: يا رسول الله كيف تتزوجها وأنت أخي؟

لأن أبا بكر ظن أن الأخوة أخوة نسب.

لقد قام ﷺ بهذه المدرسة فصار الأخ يحمل روح أخيه، وصاروا أعظم مما قال الشاعر:

قال لي المحبوب لما زرته ... من ببابي قلت بالباب أنا
قال لي أخطأت تعريف الهوى ... حينما فرقت فيه بيننا
ومضى عام فلما جئته ... أطرق الباب عليه موهنا
قال لي من أنت قلت انظر فما ... ثم إلا أنت بالباب هنا
قال لي أحسنت تعريف الهوى ... وعرفت الحب فادخل يا أنا

وهذه ليست وحدة الصوفية، إنما هي وحدة الإيمان، بأن يكون أخاك في مظهرك ومخبرك، فتذب عنه، وتحبه، وتدافع عنه، وتعيش آلامه، وتعيش طموحاته.

أما مواد هذه المدرسة فهي:

أولاً: توحيد المنهج، فلم يجمع ﷺ المتردية والنطيحة وما أكل السبع، ولم يرض ﷺ أن يُدخل قبائل العرب بالعصا، أو أن يجمع بينهم برابطة اقتصادية، أو أدبية، أو فكرية، أو حزب، أو طموح، أو أرض.

لا، بل اختار ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ

﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: الآيات ١-٦].

فلا تلفيق ولا ترقيع، إنما هو صفاء.

فهو يعلمهم ﷺ بمنهجه، ثم يجمعهم ولا يهمه بعد ذلك الكثرة.

لأن بعض الناس يجمع ويقول: لا تأتي بالأمور الأساسية لأنها تفرق الجمع، وإنما: اجمع اجمع.

وهؤلاء غثاء كغثاء السيل.

لكن الرسول ﷺ بدأ يبني مجتمعه لبنة لبنة.

فزيد مولى، وأبو بكر حر، وعلي صبي، وخديجة امرأة، فبنى منهم لبنات الرجل والموالي والصبيان والنساء حتى اكتمل البناء، فصار ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

أما التجميع على غير النهج الرباني، فرأيناه في بعض الجهات التي جمع الناس فيها على مذاهب وضعية، أو على نحل أرضية، أو على مناهج منحرفة.. ورأينا كيف تبددوا وكيف لم يتقدموا.

مسلمة الفتح ما تلقوا تربية كتربية أبي بكر وعمر، ولا تلقوا تعاليم كتعاليم أبي بكر وعمر، ولذلك هم أول من فر في حنين.

يقول أبو سفيان: والله لا يردنا اليوم إلا البحر؟؟

ويقول صفوان بن أمية: الآن بطلِ السحر!

أما أبو بكر وعمر فصمدا في أحلك المواقف، وإلى آخر لحظاتهم وأنفاسهم، رضوان الله عليهم، لأن البناء كان وثيقاً ضخماً وكان مبنياً على تقوى من الله.

الثاني: تطبيق قوله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: الآية ٩].

يأتي سعد بن الربيع فيقول لأخيه المهاجري (ابن عوف): عندي هذا المال وهذا البيت، وعندي زوجتان، أقاسمك المال وأطلق إحدى زوجاتي لتتزوجها.

قال عبدالرحمٰن: بارك الله لك في مالك وأهلك، ولكن دلني على السوق.

فأي إخاء بعد هذا الإخاء؟

ولذلك لما حدث التجمع من الأنصار، بعد وفاة الرسول ﷺ، وذهب إليهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، بيّن أبو بكر لهم مدى هذا الإخاء الذي قدموه في بداية الهجرة، فقال: يا أيها الأنصار جزاكم الله عنا خيراً، واسيتم وكفيتم، وآويتم ونصرتم، والله يا معشر الأنصار، ما مثلنا ومثلكم، إلا كما قال طفيل الغنوي في بني جعفر:

جزى الله عنا جعفراً حيث أشرفت ... بنا نعلنا في الشارفين فزلت
هم خلطونا بالنفوس وألجأوا ... إلى غرفات أدفأت وأظلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت

أي إخاء هذا؟ الأم تمل إلا الإخوة، فهم لا يملون، لكن على مذهب المهاجرين والأنصار.

ويستمر هذا الإخاء عطراً، أو يزداد دائماً، ويشده ﷺ شداً عظيماً، فيأتي هذا الإخاء بأكله وثماره لآخر لحظة من لحظات المجاهدين في اليرموك.

يصاب أربعة منهم عند خالد بن الوليد، فيأتي بماء بارد لأحدهم (الحارث بن هشام) فيرفض أن يشرب قبل (عكرمة بن أبي جهل).

فيدفع الماء لعكرمة، فإذا رجل من المسلمين يتأوه، فيأبى عكرمة أن يشرب.

فيُعَاد الماء للأصل، فيجدونه قد مات، وإلى الثاني، فإذا هو قد مات، وهكذا الثالث.

فيأخذ خالد الماء ويرمي به ويقول: اللهم اسقهم من جنتك يا رب العالمين ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: الآية ٩].

وابن القيم له كلام لطيف في (مدارج السالكين) في درجات البذل والإيثار، حيث ذكر من ذلك أنواعاً منها: أن منهم من يجود بالنوم لأخيه.

يعني يساهر ويسامر ضيفه فيجود بنوم مقلتيه.

حتى يمدحه الأول فيقول:

متيم بالندى لو قال قائله هب لي فُديت كرى عينيك لم ينم

ونحن نعيش الآن عودة إلى الله مباركة، ورجعة في جانب الشباب، لكن مادة الإيثار ليست بالراسخة عندنا.

بل أصبحت الفتيا إذا عرضت في المجلس تسابق عليها الشباب، وطلبة العلم أيهم يُقحم نفسه، ليكون مستأثراً بها، لكن بمغرم لا بمغنم!

يقول أحد التابعين، وهو يرى شباب التابعين يتدافعون للفتيا: والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتتسابقون على مسائل من الفتيا لو عُرضت على عمر لجمع لها أهل بدر.

ويستأثر أحدهم بالطريق، وصدر الدابة، والمرتبة الأولى في السيارة، والاحتفاء، والعناق، والتقديم، والدخول، والخروج ليكون رئيساً للناس.

وهذا هو حب الصدارة وحب الإمرة وشهوة الظهور.

وهذا مرض نشكو إلى الله منه، وعسى الله أن يشافينا منه.

وهناك مادة أخرى قررها ﷺ في مدرسته هي مادة (البذل) بين الإخوة.

في حديث صحيح أن الله سبحانه وتعالى يقول: «**وجبت محبتي للمتباذلين فيّ والمتزاورين فيّ**»[1].

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢١٥٢٥)، ومالك (١٧٧٩) عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه.

أي: الذي يعطي أحدهم أخاه ويجود عليه بما يسّره الله.

وفي حديث صحيح عند أبي داود أن النبي ﷺ قال: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[١] أو كما قال ﷺ.

وكانت هذه المادة مقررة عند العرب قبل الإسلام، لكنها كانت غير مهذبة، ولا محتسبة للأجر من الله.

ينفق حاتم الطائي بكثرة.. لكنه ينفق رياء وسمعة.

ويضيّف عبدالله بن جدعان بكثرة.. ولكنه يضيّف رياء وسمعة.

قالت عائشة: يا رسول الله، أينفع ابن جدعان إنفاقه؟

قال: «**لا، إنه لم يقل يوماً من الدهر: ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[٢].

وقال عدي بن حاتم: يا رسول الله، إن أبي كان يقري الضيف ويحمل الكَلّ ويعين على نوائب الدهر فهل ينفعه ذلك عند الله؟

قال: «**لا، إن أباك طلب شيئاً فأصابه**»[٣].

أي: طلب الذكر.

ولذلك لا زال يُذكر في المدن والقرى والبوادي.

قال عبدالملك بن مروان لوزرائه وهم في سمر: من تريدون أن يكون أبيكم من العرب؟

قالوا كلهم: لا نريد إلا آباءنا!

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٧٩٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٢) عن عدي، رضي الله عنه، وانظر: «مجمع الزوائد» (١/١١٩).

قال: أما أنا فليت أبي عروة بن الورد، الذي يقول:

أتـهـزأ مـنـي أنْ سـمـنـتَ وأن تـرى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

يقول: أتضحك مني لأنك سمين وأنا نحيف.

فهل علمت سبب نحافتي؟.. اسمع إذاً:

أوَزِّعُ جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

يقول: أنت تأكل ما يكفي ستة، وأنا آكل القليل لأني أكرم بالباقي الناس.

ثم يقول:

فإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

يقول: أنا دائماً على صحني ضيوف، وأما أنت فليس على صحنك إلا نفسك فقط.

فأتى ﷺ بمادة البذل فأدخلها في مدرسته، لكن بتهذيب واحتساب، فجعل البذل لله والإنفاق له.

فأتى الصحابة بعده بالعجائب في ذلك، فطمُّوا على حاتم وعلى عروة بن الورد.

يأتي أبو بكر بماله كله، فيجعله في يد الرسول ﷺ.

ويشتري عثمان بئر رومة، ويجعلها للمسلمين.

ويأتي سعد بن عبادة، فينحر في غداة واحدة مائة ناقة، حتى تشبع الصقور، والوحوش الكواسر من أجل أن يشبع الرسول ﷺ.

فجزى الله رسول الله ﷺ عنا خير الجزاء في تعليمه البذل والعطاء.

وجزى الله تلكم الثلة الرائدة والنخبة المصطفاة خير ما جزى أصحاب نبي عن نبيهم ﷺ.

أما حقوق الإخاء: فإن الرسول ﷺ ذكرها في أحاديث منها:

١ ـ شعبة التناصح.

٢ ـ شعبة إجابة الدعوة.

٣ ـ شعبة رد السلام.

٤ ـ شعبة تشميت العاطس.

٥ ـ شعبة عيادة المريض.

٦ ـ شعبة تشييع الجنازة.

٧ ـ شعبة الدعاء بظهر الغيب.

وقد ذكرت هذه الحقوق التي يطالب بها المسلمون مع بعضهم البعض فيما سبق[1].

فنسأل الله أن يُصلح منا الظاهر والباطن، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣].

أسأل الله لي ولكم التوفيق والهداية، وأسأله أن يجمع شملنا ويوحِّد كلمتنا، وأن يتولانا بعين رعايته، وأن يحفظنا وإياكم من كل مكروه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر (فصل آداب إسلامية).

الحياء كله خير

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

يقول الإمام البخاري رحمه الله تعالى: (باب) الحياء من الإيمان.

ثم يروى: عن ابن عمر، رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: **«دعه فإن الحياء من الإيمان»**(١).

معنى الحديث: أن الرسول ﷺ مر على رجل يؤنب أخاه في الحياء ويقول: قد أضر بك الحياء، وقد استحييت حتى تركت حقوقك، وتركت ما ينبغي لك، وقد بالغت في الحياء كثيراً.

وهو قد يُفْهم على وجه آخر خاطىء، أي: أنه يعظه ليستحيي، أي يقول له: استحي من الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤، ٦١١٨)، ومسلم (٣٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذا فهم مقلوب، بل الفهم الذي صَرّح به أهل العلم أنه يقول: إنك أصبحت تستحي حتى أضر بك الحياء.

والإمام البخاري، رحمه الله، أتى بهذا الحديث ليدلك على أن أعمال القلوب تدخل في مسمى الإيمان.

فهو يشن حرباً ضروساً على المرجئة الذين أخرجوا ذلك من الإيمان.

أما شرح الحديث فأقول: **الحياء قسمان:**

١ ـ قسم ممدوح.

٢ ـ وقسم مذموم.

فأما الممدوح فهو ما حملك على الجميل من الأقوال والأفعال والأعمال، وما ردك عن المنكر.

لأن بعض الناس يحمله إيمانه وحياؤه، ألا يخل بالفريضة حياء من الله عزَّ وجلَّ.

وبعضهم يستحي من الله، ثم من الناس أن يخل بالسنن، كالنوافل وكالسنن الرواتب.

وبعض الناس يرتقي فيه إيمانه إلى أن يستحي من الله عزَّ وجلَّ، ثم من الناس، بعد أداء الفرائض والنوافل، فيحافظ على آداب المرؤة.

فلا تراه مثلاً يأكل واقفاً في السوق، ولا يمازح الناس في السوق، ولا يأكل وهو يمشي، ولا يرفع صوته ولا يمزح بمزح لا يليق بالمسلم، فهذا حياء، ولو أنه ليس بواجب عليه، لكنه من الفضائل.

أما الحياء المذموم: فإنه ما رد صاحبه عن الخير كالعلم وجلسات الصالحين.

يقول مجاهد رحمه الله: لا يَطلبُ العلم مستحٍ ولا مستكبر.

كان علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه وأرضاه يأتي إلى زيد بن أسلم وهو مولى، فيجلس بين يديه يطلب العلم دون حياء.

فقال له التابعون: يا علي!! كيف تجلس إلى هذا المولى وأنت سيد من السادات؟

قال: السيد: من اتقى الله، وإنما يجلس الإنسان إلى من يستفيد منه أو يفيده.

والحياء المذموم، كذلك: إذا منعك من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهذا قد يأثم بسبب ذلك..

أما تعريفات الحياء عند أهل السنة والجماعة، فهي تعريفات كثيرة، أبسط بعضها وبعضها أتركه اختصاراً.

قيل: الحياء: أن تذكر الذل والانكسار من عدم القيام بالحق، وتذكر آلاء الله سبحانه وتعالى عليك فتقول: من أنا حتى أُعْطي هذا.

ولذلك يؤثر أن رجلاً أتى إلى مالك بن دينار، رحمه الله، فقال: يا مالك إنني تبت من المعاصي إلا معصية واحدة؟

قال: وما هي؟

قال: كبيرة من الكبائر.

قال: تب إلى الله واتركها.

قال: لا أستطيع.

قال: حاول.

قال: لا أستطيع.

قال: فسوف أعرض عليك أموراً.

قال: وما هي.

قال: إذا أردت أن تفعل هذه المعصية، فلا تعصِ الله في أرضه سبحانه وتعالى.

فقال العاصي: إلى أين أخرج؟ الأرض أرض الله سبحانه وتعالى.

فقال: كيف تعصي الله على أرضه تبارك وتعالى، أيدخلك داره ثم تعصيه في داره؟

قال: ولا تأكل من طعامه، ولا من شرابه ولا من رزقه.

قال: ومن أين آكل وأشرب، والأكل من رزق الله، والشراب من رزقه سبحانه وتعالى؟

قال: كيف تستعين بنعمه على معاصيه؟

قال: وإذا عصيته فلا تلقاه يوم القيامة.

فقال: لا أستطيع.

ثم قال: وإذا أردت أن تعصيه، فاختبىء في مكان لا يراك فيه.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأتوب إلى الله.

فتَذّكر الآلاء يجلب الحياء.

وقالوا: هو انقباض النفس خشية المكروه.

فبعض الناس يترك أعمال الشر لا ديناً منه، ولكن حياءً من الناس وهذا محمود، ولو أن من تركها مخافة من الله أحمد منه وأفضل.

ولذلك يقول ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(١).

قال أهل العلم: حديث «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» يُحمل على معنيين:

١ ـ أي إذا لم تستح من الله عزَّ وجلَّ وتخجل من مراقبته، فما عليك أن تفعل الأشياء المخجلة لأنك ميت القلب.

٢ ـ أو إذا لم تستح من الشيء وعلمتَ أنه حلال وأنه مباح، فافعله، فإنه لا حرج عليك، أما الأمر الذي يُستحيا منه فلا تفعله.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٣، ٦١٢٠) عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، رضي الله عنه.

وقيل في تعريف الحياء أنه: حفظ الجميل بترك القبيح.

وقيل: بل الحياء مراقبة القهار مخافة من النار وبعداً عن العار.

فإن لم يراقب الواحد القهار فهو لا يستحي منه سبحانه.

فإن لم يفعل ذلك فعليه أن يخاف من النار.

فإن لم يخف من النار، فليحذر من العار في الدنيا، لأن المعاصي تُكسب صاحبها ذلة ووصمة لا يعلمها إلا الله.

ولذلك يقول سعيد بن المسيب رضي الله عنه وأرضاه: الناس في كنف الله وفي ستر الله، فإذا شاء أن يفضح أحدهم أخرجه من كنفه ومن ستره.

والمفضوح: من فضحه الله وهو الذي يُصَاب بالخذلان لعدم إخلاص القصد والتوجه إلى الله عزَّ وجلَّ، نسأل الله العافية.

حياء الرسول ﷺ:

والرسول ﷺ هو قدوتنا وأسوتنا، وقد جاء بالحياء المحمود في أحواله وأقواله وأفعاله.

فواجب علينا: أن نحذوا حذوه كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

يقول أبو سعيد، رضي الله عنه، كان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها[١].

ولا يظن بعض الناس أن الرسول ﷺ قد يرى منكراً، أو يرى حقاً لله يضيع فيستحي ويحجم عن النهي.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٢، ٦١٠٢، ٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠).

لا . . . فالرسول ﷺ إذا رأى حدود الله تنتهك غضب غضباً، لا يقوم له أحد ﷺ.

لكن حياءه ﷺ، هو: الحياء المحمود الممدوح، فمثلاً يستحي أن يذكر بعض الألفاظ الصريحة في أمورٍ يتحدث فيها الناس دون أن يحسبوا لكلماتهم وزناً، كأمور الجماع وقضاء الحاجة ونحو ذلك، فلذلك كانت ألفاظه شريفة منتقاة.

وكان ﷺ ينكس رأسه بعد الصلاة، ولا ينظر كثيراً إلى أصحابه، وربما نظر إلى بعضهم.

قال البراء بن عازب، رضي الله عنه: كنا نصلي على يمين رسول الله ﷺ لعله أن ينظر إلينا، فيبتسم إلينا، ونبتسم إليه.

ويقول أنس: كان ﷺ يبقى في بيته إلى قرب إقامة صلاة العشاء أو كما قال.

فهو لا يخرج ﷺ إلا وقت الإقامة، فإذا اجتمع الناس خرج ﷺ.

قال أنس: وكان عِلْية القوم في الصف الأول: أبو بكر، وعمر، فينظر إليهم ﷺ، وينظرون إليه وهو مقبل، فيبتسم إليهم ويبتسمون إليه، ثم تقام الصلاة.

وكان ﷺ إذا فعل الإنسان خطأ ما. . لا يقوم على المنبر ويقول: أنت يا فلان فعلت كذا وكذا. . يشهّر به أو يعلن توبيخه على الناس.

لا . . بل كان يقول ﷺ: **«ما بال أُناس يفعلون كذا وكذا»**(١) فيعرف المخطىء أنه أخطأ، ويعرف العاصي أنه عصى فيعود بإذن الله، ويتوب إلى الله عزَّ وجلَّ.

وورد عنه ﷺ من حديث يعلى بن أمية قال: **«إن الله عزَّ وجلَّ حيي ستير يحب الحياء والستر»**(٢) وهذه الصفات نؤمن بها كما جاءت دون تأويل أو تشبيه، أو تمثيل، أو تكييف.

---

(١) وذلك كما ورد عند البخاري (٢١٥٥، ٢١٦٨)، ومسلم (١٥٠٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦).

وإنما شاهدنا في هذه المسألة: أن الله سبحانه وتعالى يُحب الستر ولا يحب التشهير بالناس، حتى إنه سبحانه وتعالى يكره من الإنسان العاصي أن يجاهر بالمعصية، يعصي بالليل، ثم يخرج بالنهار فيخبر بها الناس.

وقال ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»[1] أي: الذين يجاهرون بالخطأ.

ولذلك من استصلاح القلوب أن لا يشهر بالعاصي، بل يأخذه على انفراد وينصحه.

يقول الشافعي:

تعمدني بنصحك في انفراد	وجنبني النصيحة في الجماعه
فإن النصح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري	فلا تجزع إذا لم تعطَ طاعه

المهم أنه ﷺ حيي، لكنه لا يستحي ﷺ من الحق، بل تقول عائشة: كان إذا غضب ﷺ لا يقوم لغضبه أحد.

الخلاصة: أن البخاري رحمه الله أتى بهذا الحديث ليبين ـ كما سبق ذكره ـ أن أعمال القلوب تدخل في مسمّى الإيمان لا كما يزعم المرجئة.. فناسب الحديث عن الحياء وتفصيلاته.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الضحك والتبسم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

هذا حديث المصطفى صلّوا عليه وسلّموا   هذا الرحيق المجتنى فيه الشفاء والبلسم
بعد الكتاب هو النجاة فبالهدى فاعتصموا   اتخذ البخاري روضة أما العزيز فمسلم

قال البخاري في صحيحه: (باب) التبسم والضحك.

والسؤال: ما هو المطلوب من التبسم؟ وما هو حد التبسم وحد الضحك؟ وما هو المذموم منه؟ وما هو الذي وردت فيه السنة؟.

وكأني بأحدكم يقول: حتى الضحك، وحتى التبسم لا بد فيه من حلال وحرام ودليل وتعليل؟

فأقول: نعم، إنها أمة تتلقى وحيها من السماء، من فوق سبع سموات، وإن رسولها ﷺ يؤدبها في الحركات والسكنات حتى في الضحك وفي البكاء، ليست مسيّرة من البشر، إنما تسيّر من السماء.

روى البخاري: وقالت فاطمة، عليها السلام: أسرّ إليّ النبي ﷺ فضحكت، وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: إن الله هو أضحك وأبكى[(١)].

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك.

فالضحك فيه مذموم وممدوح.. والبكاء فيه مذموم وفيه ممدوح.

والضحك أنواع كما قال علماء التربية.. فمنه:

ضحك التعجب، وقاله أهل التفسير، وضربوا على ذلك مثالاً بقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ [هُود: الآية ٧١]، أي: ضحكت تعجباً، لقولها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هُود: الآية ٧٢].

ومنه: ضحك السخرية والاستهتار، والاستهزاء بالقيم والمبادىء الأصيلة، أو الاستهزاء مطلقاً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٤٧] عجيب! يضحكون من آيات الله.. يضحكون من الأسس الخالدة التي أقام الله سبع سموات وسبع أراضٍ من أجلها.

فكان عاقبة الضحك: أن دمّرهم الله تدميراً هائلاً، وأذاقهم لعنة في الدنيا والآخرة.

ومنه: ضحك الإعتزاز بالنفس، فمن الناس من إذا هُدِّد، وإذا تُوعّد ضحك معتداً بنفسه كقول الشاعر:

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا — متى أضع العمامة تعرفوني
وماذا يبتغي الشعراء مني — وقد جاوزت حد الأربعين

ويقول المتنبي وقد توعده خصومه بالقتل:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة — فلا تظن أن الليث يبتسم

يقول: أنا إذا ابتسمت، فأنا متوعد لهم، ومتهدد لهم.. وهذا موجود في أفعال الرجال، أنهم ربما ضحكوا استهتاراً بهذا الخصم.

ومنه: ضحك الإقرار أو تبسم الإقرار.

وضحك الإقرار: أن ترى شيئاً، وأنت مطاع، وأنت مسموع لكلمتك فتضحك كأنك تقره.

يلعب طفلك في البيت، فتضحك مقراً لفعله، ودليل ذلك: أنه صح عن عمرو بن العاص، رضي الله عنه وأرضاه، أنه خرج بسرية من الصحابة فأجنب، وكان الجوّ بارداً، فتيمم وصلّى بهم على حاله.

فذهبت الشكوى عليه إلى الإمام الأعظم.

فلما عُرضت عليه ﷺ تبسم، وقال: يا عمرو، أصلّيت بأصحابك وأنت جُنُب؟.

قال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ٢٩].

فضحك ﷺ منه ضحك إقرار[(١)].

ومنه: تبسم الغضب، والدليل على ذلك ما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك، وكان قد تخلف مع صاحبيه عن غزوة تبوك قال: أتيت رسول الله ﷺ لما قدم من تبوك، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب[(٢)].

وأما البكاء فمنه الممدوح والمذموم وهو أنواع:

فمنه: بكاء الحزن على الفائت، وأعظم من بكى في تاريخ الإنسان: يعقوب، عليه السلام، على يوسف، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٨٤]، بل ورد في بعض الآثار أن الملائكة شاركته في البكاء!

ومن البكاء: البكاء من الخشية.. وأخشى من خلق الله هو رسوله ﷺ، ذكر ابن مردويه وابن جرير أن بلالاً، رضي الله عنه وأرضاه، مر بالرسول ﷺ قبل صلاة الفجر ليؤذنه بالصلاة، فوجده يبكي، فقال: يا رسول الله، الصلاة.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٧٣٥٦)، وأبو داود (٣٣٤) عن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وانظر: «الإرواء» (١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) عن أبي بن كعب، رضي الله عنه.

قال: **«يا بلال نزلت عليّ آيات ويلٌ لمن قرأها ولم يتدبرها»**، ثم قرأها ﷺ وأخذ يبكي حتى كادت تختلف أضلاعه، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عِمرَان: الآيتان ١٩٠، ١٩١][(١)].

وعن مطرّف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال: كنت أدخل على رسول الله ﷺ ولصدره أزيز من البكاء كأزيز المرجل[(٢)]..

والأزيز صوت يحدثه البكاء في الصدر، والمرجل القدر إذا اجتمع غلياناً بالماء.

ومن البكاء: بكاء الهلع، وبكاء الجبن والخور، وهذا مذموم، كأن يرد على الإنسان مصيبة فيبكي طويلاً.. ولكن لو بكى قليلاً فلا بأس به، وهو من السنة، وورد، لكن أن يبقى باكياً ساخطاً على قضاء الله فلا.

ومن البكاء: بكاء الفرح.

طفح السرور عليّ حتى أنني ... من عظم ما قد سرّني أبكاني

وقال أنس: ما كنت أظن أن الإنسان إذا فرح بكى حتى رأيت الأنصار يوم قدم ﷺ المدينة يتباكون.

وبكى أبي بن كعب لما قرأ عليه الرسول ﷺ سورة البينة.. فرحاً بذلك.

والرسول ﷺ وسط في رسالته.. فليس هو بالضاحك الذي أسرف على نفسه في الضحك ﷺ، أو أكثر في هذا الجانب، وليس هو ﷺ

---

(١) صحيح أخرجه ابن حبان في «الإحسان» (٦٢٠)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/٤٤١ ـ ٤٤٢).

(٢) صحيح أخرجه أحمد (١٥٨٨٢)، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤).

بالذي تقمص شخصية الحزن والكآبة والحسرة والندامة، فهو وسط في كل شيء، وسط في العبادة، وفي المعتقد، وفي التشريع، وفي الآداب والسلوك ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣].

تجد كثيراً من الناس يضحكون ويقهقهون حتى يتمايلون ويسقطون على التراب..

وتجد بعضهم دائماً لا يضحك، فهو أبداً في كآبة وحزن.

أما الرسول ﷺ فقد كان يتبسم كثيراً، ولكنه لا يضحك إلا نادراً في حياته، فتجد في الأحاديث أربعة أو خمسة مواضع ضحك فيها، أما التبسم فحدث ولا حرج.

والبسمة منه ليست عبثاً، لأنه شرى بها قلوب الناس، وقلوب القبائل، وقلوب الشعوب ﷺ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩].

وأنا لا أقول أن الضحك حرام؛ لأن بعض الناس من جبلتهم الضحك، ولو كان من أتقى الناس.

ابن سيرين العالم العابد الزاهد التابعي المحدث الشهير أكبر تلميذ لأبي هريرة، وراوية الصحابة الكبير، معبر الرؤيا، كان من أعبد الناس وأزهد الناس، وكان يضحك حتى يتمايل.. ولكن في الليل يبكي حتى يسمع بكاءه جيرانه.

ويقول أحد التابعين: أريكم الضحاك البكّاء؟.

قالوا: نعم.

قال: تعالوا.. فأطلعهم على ابن سيرين في حلقته، قال هذا ضحاك النهار وبكّاء الليل.

ومنهم عامر الشعبي، كان من أفقه الناس، وكان مزاحاً خفيف الدم خفيف الظل، ولكن كان من أتقى عباد الله.

فلا يظن الإنسان أن الإنسان إذا كان كثير الدعابة، كثير الضحك، كثير التبسم أنه لا يتقي الله.. لا، قد تجد أفجر الخلق لله عزَّ وجلَّ لا يتبسم ولا يضحك لكنه فاجر.

روى البخاري: قالت فاطمة، عليها السلام، (لأنها من بيت النبوة): أسرّ إليّ النبي ﷺ فضحكت.. هذا الإسرار كان في ساعة الوداع.. يوم يودع ﷺ الدنيا.. يوم يرحل من المعمورة.. يوم يتجه إلى الرفيق الأعلى.

فأتى بأحب الناس لقلبه وأقرب الناس إلى روحه فاطمة رضي الله عنه وأرضاها، فكلمها ﷺ ليودعها.. قال: «**أنتِ أول الناس لحوقاً بي**»، وأخبرها أنه سوف يموت من وقته.. فبكت.

قال: «**ادني مني**»، فدنت فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟**».. فضحكت[1].

فهذه أعظم بشرى لنساء العالمين جميعاً؛ لأن سيدتهم فاطمة رضي الله عنها وأرضاها.

وقال ابن عباس: إن الله هو أضحك وأبكى.. أي إشراق هذا الفهم لابن عباس؟ أي عقلية هذه العقلية الضخمة الكبرى؟ يستدل على أن الضحك والبكاء من أمر الله الجبلي.. لأن غلاة الصوفية قالوا: لا تضحك، وإذا ضحكت فاستغفر!!

ذكر ابن الجوزي وبعض المحدثين: أن أحد المحدثين كان شرس الخلق، لا يتبسم، ولا يضحك ولا يداعب أبداً، وكان إذا سمع خشخشة الأوراق طوى دفاتره وذهب إلى بيته!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٤، ٣٦٢٦)، ومسلم (٢٤٥٠) عن عائشة، رضي الله عنها.

فأتى طالب من الطلاب يريد أن يعطس، فتذكر الشيخ، وأنه ينزعج من كل شيء، فتجمع العطاس في جوفه، حتى أصبح لا يستطيع دفعه، فعطس عطسة مدوّية.. وقال: (أنحن جالسون أمام رب العالمين)!!! فضحك الشيخ.. لأول مرة!!

ثم ذكر البخاري حديث عائشة، رضي الله عنها، أن رفاعة طلق امرأته، فتزوجها بعده عبدالرحمٰن بن الزَّبير.. فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ كنت عند رفاعة فطلقني ثلاث تطليقات، فتزوجني عبدالرحمٰن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هدبة الثوب (وهذا تكنية عن أنه لا يستطيع الجماع وهي تشكو من هذا).

وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ، فأراد أحد الصحابة زجرها.

وما يزيد ﷺ على التبسم[1]، فهذا دليل على تبسمه ﷺ من هذا الأمر.

ثم قال البخاري رحمه الله: استأذن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه وقد علت أصواتهن على صوته.

فلما سمعن صوت عمر نفرن من المجلس وفزعن!!! فدخل والنبي ﷺ يضحك من خوفهن منه.

فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله ـ وهذا من الأدب ـ.

قال ﷺ: **«عجبت من هؤلاء اللاتي عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب»**.

فقال: أنت أحق أن يهبن، يا رسول الله.

ثم أقبل عليهن قال: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨٤)، ومسلم (١٤٣٣) عن عائشة، رضي الله عنها.

فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ[١].

وهذا ليس على معنى المفاضلة بينهما، لأن الرسول ﷺ ليس فيه فظاظة ولا غلظة.. وهكذا عمر رضي الله عنه، لكنهن اجتهدن في ذلك.

ورد في بعض الآثار، أن عمر، رضي الله عنه، وجد عفريتاً من الجن واقفاً فقال: من أنت؟

قال: أنا عفريت من الجن!!

قال: تصارعني.

قال: نعم.. فصرعه عمر، رضي الله عنه[٢]!

عن عبدالله بن عمر قال: لما كان رسول الله ﷺ في الطائف، قال: إنا قافلون غداً، إن شاء الله.

فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: لا نبرح أو نفتحها.. يعني: لا نسير من هنا حتى نفتح حصون الطائف، لأنه حاصر الطائف ﷺ وطال الحصار.

قال ﷺ: «**فاغدوا على القتال**».. أي: قاتلوا غداً.

قال: فغدوا وقاتلوا قتالاً شديداً، وكثرت فيهم الجراحات، ورُموا بالأسهم والنبال.

قال ﷺ: «**إنا قافلون غداً إن شاء الله**».

فسكتوا!

فضحك ﷺ[٣] (يعني ذاقوا الأمرّين من اليوم الأول).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٤، ٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٧) عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٦٩/٣)، و«نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (٢٦٧/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٢٥، ٦٠٨٦)، مسلم (١٧٧٨) عن ابن عمر، رضي الله عنهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى النبي ﷺ قال: هلكت يا رسول الله، وقعت على أهلي في رمضان.

قال ﷺ: «**أعتق رقبة**».

قال: ليس لي.

قال: «**فصم شهرين متتابعين**».

قال: لا أستطيع.

قال: «**فأطعم ستين مسكيناً**».

قال: لا أجد.

فأُتي ﷺ بعذق فيه تمر، فقال: «**أين السائل؟ تصدق بها**».

قال: على أفقر مني، والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «**فأنتم إذاً**»(١).

روى البخاري: عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع الرسول ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه، جذبة شديدة.

قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جذبته.

ثم قال: يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك.

فالتفت إليه ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء(٢).

لو كان غير الرسول ﷺ لقال: خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلّوه!!.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٦، ١٩٣٧، ٦٠٨٧)، ومسلم (١١١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ولو أنه أدّبه، أو أنكر عليه، أو شدّد عليه لذهب داعية سوء إلى قومه.. وقال: احذروا ولا تُسلموا.. أنا ذهبت إلى هذا الرسول، فرأيته ففعل بي كذا وكذا.. ولكنْ بهذا الفعل الطيب عاد إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا جميعاً.

وعن جرير بن عبدالله البجلي سيد بجيلة قبيلة من قبائل الجنوب مجاورة لقبيلة خثعم، قال: ما رآني ﷺ منذ أسلمت إلا وتبسّم في وجهي(١).

إذاً.. التبسم كان من هديه ﷺ، وأما الضحك فكان يحدث منه أحياناً إذا استدعى الحال.

فواجب على المسلمين: أن يهتدوا بهديه ﷺ، ويُكثروا من التبسم لإخوانهم فإنها صدقة.

أسأل الله لي ولكم اللطافة وحسن الخلق، وأن يُفرحنا في الدنيا والآخرة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الخـــلاف

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

اعلموا، حفظكم الله، أن الله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هُود: الآية ١١٩] قال بعض العلماء: أي للاختلاف خلقهم.

وبعضهم ألّف في ذلك كتاباً يرى أن من سر خلق الخليقة: الخلاف.

والذي يظهر أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق للعبادة لأن الله يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٦]، فخلقهم للعبادة لا للاختلاف، لكن من سنته سبحانه وتعالى في الكون أنه ميز بين كل شيء فميز بين الأطعمة والأمزجة والألوان والأفكار.

فجعل الحلو والحامض، وجعل الظلمة والنور، وجعل الليل والنهار، وجعل الحار والبارد.

ويقول سبحانه وتعالى في الأيام: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٠].

وجعل سبحانه وتعالى من آياته التي تثبت تدبيره للكون سبحانه وتعالى وخلقه له، وبديع صنعه فيه: اختلاف الألسنة والألوان، فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الرُّوم: الآية ٢٢]، فتبارك الله أحسن الخالقين، وسبحان الذي يُغَير ولا يتغير.

وكما أن الخلاف يقع في الكون بأكمله، فهو لا شك واقع في المجتمع الصغير بدءاً بالأسرة، ثم القرية، ثم المدينة، ثم الشعب، ثم الأمة، ثم المعمورة.

فلا بد أن يقف الإنسان بتعقل أمام سنة الله سبحانه وتعالى في الاختلاف.

وقد اخترت الحديث عن هذا الموضوع **(الاختلاف)** لأنه قد كثر في عالم الشباب، وانتشر معه التنابز والفرقة والخوض في الأعراض والنيل من الفضلاء.

فكان لا بد لعلماء الإسلام ودعاته أن يتصدوا لهذه الظاهرة المتفشية.

أسباب الخلاف

أولاً: البغي والعدوان: البغي بغير علم وبغير هدى، فإنك تجد بعض الناس يحب أن يبغي على الآخرين، لأن من طبيعته العدوان، فهو كبعض الحيات التي تحتوي على السم، فإذا لم تلدغ في السنة مرة ماتت.

فتجد بعض الناس كهذه الفصيلة مع الآخرين.

فهو كما يقول زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه   يُهَدَّمْ ومن لا يظلم الناس يُظْلم

وهذا البيت أوله صواب، ولكن آخره خطأ؛ لأنه يدعو إلى الظلم والعدوان.

ويقول المتنبي:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس رَوَّى رمحه غير ظالم

يقول: من يعرف الناس مثلي فإنه يروّي رمحه من دمائهم، وهذا ظلم وخطأ.

ويقول الشاعر الجاهلي أيضاً في الظلم والبغي والعدوان بحق وبغير حق:

وأحياناً على بكر أخينا إذا لم نجد إلا أخانا

يقول: نحن نهاجم الأعداء، فإذا انتهينا منهم، وفرغنا هاجمنا جيراننا وإخواننا!! لأن من طبيعتنا العدوان.

فلذا تجد بعض الناس لا يرتاح إلا أن يخالف من أمامه.

فهو يجلس معك، فإذا استمع رأيك خالفك.

مثلاً تقول: هذا الأمر يجوز.

فيقول: لا يجوز.

تقول: نذهب.

يقول: نجلس!

تقول: اليوم حار.

يقول: اليوم بارد!!

ولذلك جعلوا من آداب الصحبة: ألا تخالف صاحبك.

يقول ابن المبارك، رحمه الله:

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً ذا عفاف وحياء وكرم
قوله للشيء لا إن قلتَ لا وإذا قلت نعم قال نعم

ويقول في مقطوعة أخرى:

إذا صاحبت قوماً أهل ودٍّ فكن لهم كذي الرحم الشفيق
ولا تأخذ بزلة كل قوم فتبقى في الزمان بلا رفيق

والذي يخالف دائماً بهوى، وبدون حق يبغضه الخلق.

والذي يحب أن يخالف بحق فله مكانته ورأيه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩].

وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٩]، فاليهود يشهدون أن محمداً، عليه الصلاة والسلام، رسول، فلما جاءهم بالعلم كفروا بغياً وعدواناً.

ثانياً: الحسد: قال سبحانه وتعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٩].

وقد قيل قديماً: ما خلا جسد من حسد.

والحسد يسري في أهل المهن المتشابهة، والمتقاربين في السن، والزملاء والأقران.

فتجد أحدهم يخالف زميله لا لشيء إلا لأنه زميله فقط.

فالشيخ تجده يخالف الشيخ.

والطالب يخالف الطالب.

والمهندس يخالف المهندس.

والطبيب يخالف الطبيب.

والشاعر يخالف الشاعر.

يقول الشاعر:

ولكل شيء آفة من ضده حتى الحديد عدا عليه المبرد

فلكل شيء آفة وضد يخالفه، حتى الحديد وهو من أقوى الأشياء.

قيل لأحد الحكماء: ما هو أقوى شيء خلقه الله؟

قال: أقوى شيء خلقه الله سبحانه وتعالى هو الجبال.

قالوا: وما أقوى من الجبال؟

قال: الحديد.

قالوا: فما أقوى من الحديد؟

قال: الريح.

ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقا الآية ٢٥].

وأثبت العلم الحديث أن الريح أقوى من كل قوة.

قالوا: فما أقوى من الريح؟

قال: الصمت.

فالصمت أقوى من الريح، ولذلك يقول البردوني يُحيي الرسول ع الصلاة والسلام ويحيي دعوته:

بشرى من الغيب ألقت في فم الغار	وحياً وأفضت إلى الدنيا بأسر
بشرى النبوة طافت كالشذى سحراً	وأعلنت في الدنا ميلاد أنـ
وشقت الصمت والأنسام تحملها	تحت السكينة من دار إلى

فالمقصود: أن الحسد يحمل بعض الناس إلى أن يخالف غيره، و كان الحق مع المخالف.

وهذا مذهب بني إسرائيل، والعياذ بالله، فهم يحسدون الناس كما سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: الآية ٥٤].

وبنو الإسلام يقع فيهم الحسد كما يقع في غيرهم، ولو كانوا مؤمنين.

قيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟

قال: ويلك!! أنسيت قصة أبناء يعقوب لما حسدوا يوسف عليه السلام؟

قال: فماذا أفعل؟

قال: إذا حسدت، فلا تبغ.

أي: إذا حسدت، فلا تجيل الظن في قلبك، ولا تسيء بالكلمة، ولا تجرح العرض.

ثالثاً: الكِبْر: سئل ﷺ عن الكبر فقال: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(١)، بطر الحق أي ردّه.

فتجد بعض الناس، لا ينظر إلى الآخرين؛ لأجل هذا الكبر.

تقول له: السلام عليكم ورحمة الله.. فلا يرد، لأنه من فصيلة أخرى! فدمه دم آخر.

فإذا نصحته غضب عليك، وأخذته العزة بالإثم؛ لأنه يرى أن مثله لا يُنصح.

فهذا هو رد الحق وبطره.

وما حمل أبا جهل على رد دعوة الرسول ﷺ إلا الكبْر، وكذلك الوليد بن المغيرة، وكذلك الطغاة من قبلهما كفرعون وقارون وهامان.

يقول أبو جهل: إنا نعلم أن محمداً صادق، لكن إذا قال بنو هاشم: عندنا النبوة، فماذا نقول؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٩١) عن ابن مسعود، رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْـ
[الأعراف: الآية ١٤٦] فالمتكبر يرد الحق ويخالفه؛ لأنه يرى أنه ليس بإم
أن يتنازل لك ليسمع منك الحوار ويسمع منك المناظرة لحاجة في نفسه.

وقف عمر، رضي الله عنه وأرضاه، على المنبر يريد أن يُشجع الـ
والمشاورة، والتفاهم فقال: يا أيها الناس، ما رأيكم لو رأيتموني عدلت
الطريق ـ أي طريق الاستقامة ـ هكذا؟

فقام أعرابي في آخر المسجد، فسل سيفه، وقال: والله
أمير المؤمنين لو رأيناك قلت عن الطريق هكذا، لقلنا بالسيوف هكذا!

فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في رعيتي، من لو قلت عن الط
هكذا، لقال بالسيف هكذا.

فهو، رضي الله عن يريد أن يقرر للناس مبدأ التواضع للآخري
وقبول الحق منهم، ولو كانوا أقل منهم علماً أو تقوى.

رابعاً: التعصب للأشخاص والمناهج: فبعض الناس إذا أحب شخ
تولع به، فلا يكاد يُبصر إلا رأيه، أو اجتهاداته، ولو كانت خاطئة.

وهذا المنهج غير صحيح؛ لأن المعصوم هو محمد ﷺ، وكل أ
يُرد من قوله ويؤخذ إلا هو ﷺ.

والكتب كلها فيها اختلاف إلا القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَ
فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية ٨٢].

وبعض الناس يرى أن منهجه، ووسيلته، وطريقته ما أسعد منها،
أصوب، أما غيرها فخطأ.

وأنه يجب على الناس، والشباب أن يمضوا على منهجه، وأن يسل
لطريقته، وأن يسلموا لما يقول.

وهذا ليس بصحيح.

ولذلك يقول أهل هذا المبدأ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٥١]. فأبو جهل مثلاً يقول: كيف يكون الحق مع بلال ومع صهيب ومع ابن مسعود، وهم ضعفاء الناس في نظره، وأقلهم ذكاء وخبرة من غيرهم؟

يقول رجل لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه وأرضاه: يا علي أتظن أن الحق معك والباطل مع طلحة والزبير وعائشة؟ - يعني في معركة الجمل -.

قال: ويلك!! اعرف الحق تعرف أهله، ولا تعرف الحق بالرجال.

فالتعصب للأشخاص والمناهج مصيبة، وقد أضرت بالأمة الإسلامية، وأخرت ركبها وأشغلتها بالخلافات والردود حتى أحاط بنا الأعداء من كل جانب.

خامساً: ضيق الأفق: فبعض الناس ضيق الأفق، لا يتسع صدره للمحاورة ولا للنقاش، فهو يُغلق عليك الطريق منذ أول وهلة مقرراً رأيه ومسفهاً لما سواه.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: الآية ٦]، أي: اتركه حتى يسمع النور، واتركه حتى يسمع الوحي، واجعل له فرصة حتى يُظهر لك ما في صدره.

ولا يفوتنا هنا: قصة عتبة بن ربيعة، وهو من رؤساء الشرك في قريش، عندما ذهب إلى النبي ﷺ ليحاوره، فتركه ﷺ حتى انتهى، وفرغ من قوله وهو يعلم أنه باطل وإفك وزور.

ثم قال له: «**أفرغت يا أبا الوليد**»(١).

أي أنه ﷺ مستعد لسماع محاضرة ودرس أطول من هذا المشرك.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (٢٦٧/١)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٩٢/٤).

لأنه ﷺ يريد هداية الناس، فلا بد أن يسمع منهم ليعرف عللهم فيعالجهم بموجبها.

فما بالك إذا كان المحاور لك أخاً من إخوانك المؤمنين؟ أفلا يكون أحق بالسماع من ذلك المشرك؟

يقول الشافعي: قولنا صواب يحتمل الخطأ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

ويقول: والله ما ناظرت أحداً إلا وددت أنه يصيب، وخفت عليه أن يخطيء، أو كما قال.

وكان إذا ناظر أحداً يدعو ويقول: اللهم سدده، اللهم ثبته.

ولذلك رفع الله الشافعي وأمثاله.

سادساً: فساد التصور وضعفه: فإن بعض الناس عنده فساد في تصور الأمور وإدراكها.

فمثلاً: هو يجعل الصغائر من المعاصي كبائر.

فإسبال الثياب مثلاً يعدها بعض العلماء كبائر، لكنها ليست من الموبقات السبع التي عدها ﷺ، ثم إن صاحبها لا يكفر بها، فتجد بعض الناس يُكَبّر هذه، ويضخمها لفساد تصوره، وينسى غيرها مما هو أهم منها، كمسائل العقيدة وأمور التوحيد.

أو أنه يحمل الآيات والنصوص على غير محملها كما فعل الخوارج، فهم يحملون آيات الكفار على المؤمنين.

وأما أهل السنة فإنهم يحملون آيات الكفار على الكفار، وآيات المؤمنين على المؤمنين.

سابعاً: الزام ما لا يلزم: فتجد بعد المخالفين يقول: قال العالم الفلاني كذا وكذا، ومعنى كلامه كذا وكذا، إذاً فهو كذا وكذا.

فمثلاً وُجد من الناس من يستمع الغناء في هذا الزمن.

فيقول بعضهم: من سمع الغناء ورضي به فهو فاسد.

ومن كان فاسداً، ورضي بالفساد في بيته، فهو ديوث.

ومن كان ديوثاً فهو لا يدخل الجنة، لأن الرسول ﷺ يقول: «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث**»[١].

فانظر كيف بنى، وقرر، وألزم، وأدخل الناس النار! لأنه بنى على قواعد واحتمالات، لم يتبينها من المحكوم عليه.

تقول له: رحمة الله واسعة، والله غفور لذنوب العباد.

فيقول في نفسه: المرجئة يقولون: إن الله غفور للعباد، والمرجئة يسهلون المعاصي، إذاً فهذا مرجىء!! فهو إذاً مبتدعٌ!! أو زنديق!

ثامناً: غلبة العاطفة على العقل: خاصة في سن الشباب الذي ما بين العشرين إلى الثلاثين.

فتجد الشاب يندفع بعاطفته الجياشة، وكلامه الناري، مستخدماً العبارات الثقيلة، التي تجنح به عن قبول الحق؛ لأنه لم يتدبر فيه بعقله بل بعاطفته.

ونحن نريد عاطفة شباب، وعقول شيوخ؛ لأن عاطفة الشيوخ بعقول الشباب تموت، فلا ترى فيها من يأمر، أو ينهى، أو يدعو.

يخطىء بعض الناس في محاضرة ما في الحكم على حديث.

فيقول أحد الشباب: لماذا يقول بأن هذا الحديث صحيح، وهو ضعيف، فهذا يدل على عدم معرفته بسنة الرسول ﷺ، وهجره للسنة، وعدم اهتمامه بالأثر الشريف.

وهذا حماس، وعاطفة هيابة، لا داعي لها.

بل الواجب: أن تبين بأنه قد أخطأ في الحديث، مبيناً وجهة نظرك بحب وود وهدوء.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٥٣٤٩، ٦٠٧٨، ٦١٤٥)، والنسائي (٢٥٦٢) عن ابن عمر، رضي الله عنهما.

تاسعاً: حب الخلاف لذاته:

يقول أحد الشعراء وأظنه الشريف الرضى:

مشغوفة بخلافي لو أقول لها يوم الغدير لقالت ليلة الغار

وقد سبق نحو هذا.

عاشراً: عدم التثبت في الأقوال والأفعال: يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحُجرَات: الآية ٦].

فكثير من الناس، الآن، يبني أحكامه على غير معرفة للرأي الآخر.

سمع مثلاً أن داعية من الدعاة قال كذا وكذا.

فقام على المنبر بخطبة رنانة ليرد عليه.

فيظهر له بعد الخطبة أنه ما قال ذلك.

فيسقط في يده، ويضع نفسه في موقف محرج، لا داعي له؛ لأنه اعتمد في رواياته على الأخبار الإسرائيلية!

وأهل السنة من منهجهم، أنهم إذا بلغهم الخبر، تثبتوا من صاحبه وشافهوه وراسلوه، ليعرفوا مقصوده حتى يردوا ويحاوروا على بيّنة.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسرَاء: الآية ٣٦].

فوصيتي لإخواني: أنهم إذا سمعوا خبراً من رجل، أو من داعية، أو من طالب عالم، أو من مفكر، أو من مسؤول أن يتثبتوا منه شخصياً ويتأكدوا، حتى لا يكونوا عرضة للتهم، ولا للمجازفة، ولا للعجلة والطيش.

آداب الخلاف

أولاً: أن تسمع الحجة والرأي، كما سبق معنا في قصة الرسول ﷺ مع الوليد بن المغيرة.

فقبل أن تصدر أحكامك على المخالف، واجب عليك: أن تحاوره وتسمع رأيه وحجته.

ثانياً: إيراد الدليل: لأن التهويل والكلام لوحده لا يكفي ولا يجدي.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٨]، ويقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١١].

وعند ابن عدي وبعض الحفاظ أنه ﷺ أشار إلى الشمس وقال لرجل: «**على مثلها فاشهد أودع**»[1]، ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزّخرُف: الآية ٨٦].

فلا بد أن يكون عندك دليل، ووثائق، وبراهين تدمغ بها خصمك، وتُظهر حجتك ورأيك.

---

(١) ضعيف أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١٦٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٨/٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٩٧٤) عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وانظر: «المحلى» لابن حزم (٤٣٤/٩)، و«تلخيص الحبير» لابن حجر (٢١٠٧)، و«كشف الخفاء» (١٧٨١)، و«إرواء الغليل» (٢٦٦٧).

ثالثاً: الهدوء في الرد، بأن لا تصل المسألة إلى رفع الصوت؛ لأنه لا يكون إلا في الخطب والمواعظ التي تستلزم ذلك.

قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: الآية ١٩].

وصاحب الباطل دائماً يرفع صوته، حتى يُظْهر للناس أنه محق.

وصاحب الحق متزن يوصل كلمته في تمكن وفي اطمئنان، لأنه واثق من نفسه.

رابعاً: ذكر جوانب الاتفاق قبل الاختلاف، فإذا أتيت مثلاً إلى كافر مشرك، وثني، تريد أن تجادله في ألوهية الله، عزَّ وجلَّ، فابدأ معه أولاً فيما تتفق أنت وإياه فيه، وهو وجود الله مثلاً وآياته ومخلوقاته.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٨].

فإذا جلس معك تقول له: من خلق السماوات والأرض؟

فيقول: الله.

فتقول: أنا وإياك متفقين أن الله خلق السموات والأرض.

فتتدرج معه، ثم تقول: فمن يستحق العبادة بعد ذلك؟

حينها يقف، وربما يجيبك بأحد جوابين:

إما أن يقول: يستحقها الله، فالحمد لله.

أو يقول: يستحقها الوثن ـ وهو أنواع ـ.

فتقول: الوثن لا يسمع، ولا يبصر، ولا يرى، ولا يرزق، ولا يخلق، فكيف يستحق العبادة؟

حينها سوف يجيبك بالحق.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤] أي لنلتق على كلمة نتفق عليها.

وسمعت أحد القوميين العلمانيين يقرأ هذه الآية أمام بعض اليهود والنصارى، فقال: قال الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤] ثم وقف، ولم يكمل «وقف حمار الشيخ في العقبة»!

لأن المسألة التي تلي هذه هي المدمرة وهي: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤].

فبعض الناس يأخذ الحجة التي له، ويترك الحجة التي عليه.

يقول علماء الحديث:

أهل السنة يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل البدعة لا يكتبون إلا ما لهم.

خامساً: التواضع في الرد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سَبَإ: الآية ٢٤].

فتظهر نفسك في البداية: أنك لست جازماً بالحق؛ لتستدرج المخالف فتقول: أنا رأيي - وقد يكون رأيي خطأً - أن الموضوع كذا وكذا، فإنه حينئذٍ سيستأنس المخاطب، ويدلي بحجته، ويتأمل حجتك! لعلها أن تكون صائبة، فإذا هي صائبة.

يقول أهل الإيمان في القرآن للكفار: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سَبَإ: الآية ٢٤] ومعلوم: أن أهل الإيمان هم الذين على هدى، وأهل الكفر هم الذين على ضلال مبين، ولكنه سحب المخالف للتأمل في الأدلة لما يرى من تواضع خصمه.

سادساً: تحديد محل الخلاف، فبعض الناس يهيج، ويغضب على غير مبدأ، وعلى غير نقطة خلاف.

فهو لا يعلم لماذا اختلف مع زميله!

يقول أهل الأحوال: لا بد من تحديد نقطة الخلاف حتى تتكلم أنت وإيّاه على شيء محدد، فيضبط كل واحد كلماته ويختارها بعناية.

وهذا هو منهج القرآن، الذي يحدد مثلاً الخلاف مع الكفار في اليوم الآخر، ثم يبدأ يحاورهم فيه.

سابعاً: التحاكم إلى صاحب أهلية في الحكم: فأنت إذا اجتمعت واختلفت أنت وزملاء لك، فالأحسن أن تقول نُحَكّم فلاناً العالم الداعية بيننا.

وقد حدث مثل هذا في السيرة.

فقد اختلف ابن عباس، رضي الله عنهما، وبعض الناس في: هل كان ﷺ يغتسل وهو محرم؟ فقالوا: نحتكم إلى أبي أيوب الأنصاري صاحب الرسول ﷺ.

فاحتكموا إليه، فاغتسل، وقال: رأيت الرسول ﷺ يغتسل، وهو محرم،. فرضوا بحكمه.

فقال المسور بن مخرمة ـ فيما أظن ـ لابن عباس: والله لا أخالفك بعدها أبداً[(١)].

واختلف ابن عمر مع سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين.

فسأل ابن عمر أباه فقال له: إذا قال لك أبو إسحاق.ـ أي: سعد ـ قولاً فاعلم أنه صادق[(٢)].

فلك أن تختار شخصاً من الأساتذة، أو العلماء، أو الدعاة، فتحكمهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٤٠)، ومسلم (١٣٠٥)، وأحمد (٢٣٠٦٦) عن أبي أيوب، رضي الله عنه.

(٢) صحيح أخرجه أحمد (٨٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

في المسألة المختلف فيها، ثم تسمع أنت وإياه للحكم.

ثامناً: الرد إلى الله ورسوله في مسائل الشريعة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٥٩].

والرد إلى الله يكون بالرد إلى كتابه.

والرد إلى الرسول ﷺ يكون بالرد إلى سنته المطهرة.

فإذا اختلفت أنت ورجل في قضية ما، فقل له: نحتكم إلى الكتاب والسنة وإلى أهل العلم الذين يبينون الكتاب والسنة.

وحينها تسمعون الحكم الصريح من الكتاب والسنة، لأن الله يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٣]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النِّساء: الآية ٨٣].

تاسعاً: تجنب النيل من الشخص والتشفي من عرضه.

كان ابن قدامة (صاحب المغني) إذا أراد أن يناظر أحداً تبسم في وجهه.

فيقول أحد العلماء: هذا والله يقتل الناس بتبسمه.

يقول المتنبي:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

والمعنى: أن التبسم، والأريحية، والهدوء يقتل الخصم، لأن الخصم يريد منك أن تتفاعل، وأن تتأثر، وأن تحترق بداخلك، فإذا أظهرت له أنك لا تتأثر وأنك هادىء احترقت أعصابه.

عاشراً: أن تحدد نوع الاختلاف، هل هو خلاف تضاد، أم خلاف تنوع؟

لأن خلاف التضاد، لا يُعذر صاحبه عند أهل السنة.

مثل من ينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كرجل يقول: أركان الإسلام أربعة.

فتقول: هي خمسة.

فيقول: لا بل أربعة.

فهذا ليس بخلاف عند أهل السنة، بل هو ردة وكفر.

وأما خلاف التنوع ومسائله.

فهي المسائل التي فيها سعة، كالمسائل الفقهية التي يكثر فيها الخلاف في كل آن وحين.

كالإشارة بالأصبع في التشهد، أو وضع اليد في الصلاة، أو صلاة التراويح أو غيرها، مما كثر فيه الخلاف وطال.

والحل فيها ما قاله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[1].

فلذلك تدعو للناس في هذه الحالة بالأجر، وتلتمس لهم العذر، ولا يجوز للمخالف في مسائل الفرعيات أن يعنف على من خالفه.

وقد أطال شيخ الإسلام في رسالته «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» في ذكر أعذار العلماء في خلافاتهم مع بعضهم البعض، ودافع عنهم دفاعاً حاراً.

فارجع إليها فإنها نفيسة.

الحادي عشر: الإنصاف مع المخالف، ولو كان عدواً لك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المَائدة: الآية ٨].

ولذلك تجد من لا يقيم هذا المبدأ في حياته، يغضب منك، إذا ذكرت صفة حسنة في عدو لك وله.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما.

كأن تذكر تفوق الدول الغربية في مسائل العلم المادي، أو في سهولة إنجاز المعاملات، أو نحوها من الأمور الدنيوية.

وهذا ليس به بأس لأنه من ذكر مزايا الشعوب الدنيوية التي تفوقوا فيها، ولا دخل له من قريب، أو من بعيد بالولاء والبراء، كما يزعم بعض الناس؛ لأننا نعلم أن أشد الناس لنا عداوة هو من عادانا بسبب الدين.

كل العداوات قد تُرجى إماتتها إلا عداوة من عاداك في الدين

ولذلك قال عمرو بن العاص، رضي الله عنه، في الروم: إن فيهم لخصالاً أربعاً:

١ ـ إنهم لأحلم الناس عند فتنة.

٢ ـ وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة.

٣ ـ وأوشكهم كَرّة بعد فَرّة.

٤ ـ وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف.

٥ ـ وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك[1].

وأما مسألة أهل البدع، وذكر ومحاسنهم، فإنها مسألة أخرى غير هذه، وهي مما طال فيه الجدل بين الدعاة والشباب في هذا الزمان.

والصواب فيها ـ إن شاء الله ـ أن أهل البدع ليسوا على شاكلة واحدة.

فمنهم الذي اجتهد عن حسن نية في اختياراته وترجيحاته، ويظن أنه على منهج أهل السنة، ولكنه ضل الطريق لحكمة إلٰهية.

فهذا نعذره ونبين خطأه مع ذكر محاسنه كالحافظ ابن حجر، والنووي والقاضي عياض، ونحوهم.

وآخرون استمرؤوا البدع، ونابذوا أهل السنة عن علم، وعن بغي وعدوان.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٨).

فهؤلاء لا نذكر محاسنهم أبداً؛ لأن في ذلك تلبيس على المسلمين، بل نُحَذِّر منهم ونفضحهم.

وهذا كحال الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، والعَلاَّف، والنَظّام، وغيرهم من دعاة البدعة، ورؤوسها، قديماً، ومن سار على دربهم حديثاً.

أما من يستخدم هذا المنهج الأخير مع دعاة الإسلام، وأهل الفضل، فهو خاطىء وظالم لنفسه.

أقلوا عليهم من اللوم لا أباً لأبيكمو   أو سدوا المكان الذي سدوا

ويقول بشار بن برد:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

وقال أبو تمام:

تريد مبرأ لا عيب فيه   وهل عود يفوح بلا دخان

ويقول النابغة الذبياني أمام النعمان بن المنذر:

ولست بمستبق أخاً لا تَلُمُّه   على شعثٍ أي الرجال المهذب

أسأل الله لي ولكم أن يجنبنا الخلاف والزلل، وأن يوفقنا للاعتصام بكتابه وسنة نبيه ﷺ.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

كنتم خير أمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما هي الضوابط التي يقوم عليها الأمر بالمعروف؟

ما هي آداب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؟

ما هي أهليته ومواصفاته؟

ما هو دوره في تغيير المنكر والأمر بالمعروف؟

هذه القضايا هي ما سأتطرق إليه في هذه الورقات إن شاء الله.

اعلموا، بارك الله فيكم، أن أهل السنة عَدّوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الركن السادس من أركان الإسلام، وأوجبوه وجوباً قطعياً.

وقد تكلم شيخ الإسلام في المجلد الثامن والعشرين من فتاويه عن هذا وقال ما معناه: إن من مميزات الأمة الإسلامية أن الله فضّلها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالأمم التي سبقتها لم تأمر كلها بالمعروف، أو تنهى عن المنكر.

بل كان يأمر بعضها ببعض المعروف، وبعضها ينهى عن بعض المنكر، فلما أتى الله بالأمة الإسلامية الرائدة الخالدة، أمة الكتاب والسنة،

الأمة التي نصبت جبهتها للشمس لترفع؛ لا إله إلا الله، قال لها الله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠].

وهذه الآية قرأها عمر بن الخطاب، فقال: والذي نفسي بيده لا يتم أول الآية حتى يتم آخرها.

أي: لا نكون خير أمة حتى نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله.

نأمر بالمعروف، ولو كان السيف على الرأس، وننهى عن المنكر، ولو كان الموت يتحشرج في الحناجر.

وأنا أذكر قصتين لعالمين رائعين زاهدين عابدين من علماء الإسلام حول هذا.

أولهما: طاووس بن كيسان، عابد مولى من الموالي، ولكن رفعه الله في التقوى والعلم.

كان زاهداً من علماء اليمن، من تلاميذ ابن عباس، رضي الله عنهما، وأرضاهما.

وهو راوية ثقة ثبت إمام، بل زاد بعضهم في صفته: ثبت إمام حجة لا يُسأل عن مثله.

تعلم على يد ابن عباس، وذهب إلى اليمن، فكان يقول الحق، ولو كان مراً.

يدخل على محمد الثقفي، أخو الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان في اليمن: ظالماً، غاشماً، سفّاكاً للدماء، فيأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر.

أعطاه مرة كساء، فأخذ الكساء من على رأسه، فوضعه تحت أرجله في الأرض.

فقال: ما لك؟

قال: ما أتيتك لتكسوني، وإنما أتيتك لآمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر.

قال: وهل عندي منكر؟

قال: الظلم ببابك فاشٍ (يعني منتشر).

ذهب إلى العراق، إلى بغداد، إلى دار السلام ليقابل أبا جعفر المنصور، وأبو جعفر هذا من دهاة ملوك الأرض.

دخل عليه فجلس.

فقال له أبو جعفر، يريد أن يخجله أمام الجالسين، وكان على أنف أبي جعفر ذباب، كلما طرده عاد، فوقع على أنفه، فقال أبو جعفر لطاووس: يا طاووس لماذا خلق الله الذباب؟ ما هي الحكمة من خلق الذباب؟

قال طاووس: يا أمير المؤمنين، خلق الله الذباب ليذل به أنوف الطغاة!

هذا أحسن جواب سمع في التاريخ.

أما العالم الثاني، فهو: الأوزاعي، الإمام العظيم، الذي لما سُئل عنه بعض أهل العلم فقال: لا يُسأل عن مثله.

قيل: رؤي في المنام أن نجماً هوى من السماء.

فقيل لبعض العلماء: ما تأويل ذلكم؟

قال: إن صدقت رؤياك، فقد مات الأوزاعي.

وسأل رجلٌ أحد تابعي التابعين: رأيت ريحانة قُطعت من الأرض، فارتفعت إلى السماء.

قال: الأوزاعي يموت.

قال عبدالله بن علي عم السفاح لجلاّسه من الوزراء والقواد: هل تعلمون أحداً يعارضني في أفعالي؟

لأنه قتل وسفك وظلم.

قالوا: لا نعلم إلا أن يكون الأوزاعي.

فأمر به أن يأتي.

فذهبوا إلى الأوزاعي، فقالوا: يريدك عبدالله بن علي عم السفاح.

قال: الله المستعان، انتظروني قليلاً.

فذهب، واغتسل، ولبس أكفانه من تحت الثياب، وأتى إليه، ومعه عصا يتوكأ عليها، لأنه في الستين أو فوق الستين، وقد أصبح قريباً من القبر.

قال: فدخلت عليه، وبيد عبدالله بن علي خيزران، وقد غضب وانعقد على جبينه عرق من الغضب.

قال: من أنت؟

قال: أنا الأوزاعي.

قال: ما رأيك في الدماء التي سفكناها.

قال: لا يجوز لك، ولا يحل لك، حدثني فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[١].

قال: فنكت بالخيزران في الأرض، وحوله الوزراء، فرأيتهم يقبضون ثيابهم خوفاً من دمي أن لا يرش ثيابهم.

فقال: والأموال التي أخذناها؟

قال: إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً فعقاب.

قال: خذ من أموالنا ما شئت.

قال: لا أريد أموالك.

قال: فسلّم لي بدرة فيها مبلغ من المال.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) عن ابن مسعود، رضي الله عنه.

فوزعه الأوزاعي على الجنود ورمى بالبدرة، وقد فرغت عند قدمه.

قال: فغضب غضباً ما غضب مثله أبداً، وانتظرت أن يأمر بقتلي بالسيف، ولكن خرجت من الباب إلى الناس دون سوء.

فقالوا: كيف نجّاك الله يا أوزاعي؟

قال: والله الذي لا إله إلا هو؛ لما دخلت عليه تصورت أنه على كرسيه كالذباب، والله ما تذكرت إلا أن الله بارز على كرسيه، يوم العرض الأكبر.

سبحان الله!.

وابن تيمية دخل الإسكندرية، فاجتمع الناس يريدون قتله من غلاة الصوفية والمبتدعة.

فقال له الناس: يا ابن تيمية، يريد هؤلاء أن يقتلوك.

قال: كأنهم والله مثل الذباب عندي.

وقد مر معنا كثيراً أن ابن أبي ذئب المحدث الكبير جلس يدرس في مسجد الرسول ﷺ، فدخل المهدي بن أبي جعفر المنصور الخليفة، فقام أهل المسجد جميعاً إلا ابن أبي ذئب ما قام.

قال: لماذا لم تقم يا ابن أبي ذئب؟

قال: والله، كدت أن أقوم لك، فتذكرت قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطفّفين: الآية ٦] فتركت القيام لذاك اليوم!

قال: اجلس، والله ما بقيت شعرة في رأسي إلا قامت.

الشاهد من هذا: أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فريضة على الأمة.

ولكن له ضوابط وله حدود وله آداب فلنستمع إلى ذلك.

أما فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقوله سبحانه وتعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠].

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النِّساء: الآية ١١٤] فلا خير في كلام الناس، إلا من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، أو أصلح بين الناس، أو أمر بصدقة.

وقال سبحانه عن قرية بني إسرائيل: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعرَاف: الآية ١٦٣]، ففي يوم السبت، يحرم الله عليهم أن يصطادوا، فكانت تأتي الأسماك إلى ساحل البحر يوم السبت، حتى تكاد تقفز على الناس، فإذا انتهى يوم السبت هربت.

وكل هذا ابتلاء من الله لهم.

فلم يعجبهم هذا.

وفكروا في حيلة يحصلون بها على السمك، دون أن يخالفوا أمر الله بزعمهم.

فوضعوا خنادق وشباك تحبس السمك إذا دخل منطقتهم، حتى إذا كان يوم الأحد اصطادوه.

فانقسم الناس ثلاثة أقسام في القرية:

قسم فعلوا هذه الفعلة النكراء، والداهية الدهياء، وعصوا رب الأرض والسماء.

وقسم آخر سكت كالشيطان الأخرس، فما تكلموا بشيء، بل قال أحدهم: نفسي نفسي.

وقسم ثالث: قالوا: هذا خطأ وهذا منكر: خافوا الله، اتقوا الله.

وأتى هؤلاء الصالحون، فقالوا للفاسقين: لا نساكنكم في أرضكم، أنتم في جهة من القرية، ونحن في جهة، وبنوا بينهم سوراً عظيماً.

فجاء عذاب الله، فقال سبحانه للفاسقين: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٥].

فأمسوا من بني آدم، وعندما قاموا في الصباح، كانوا قد انقلبوا إلى قردة.

أما الطائفة الثالثة، وهم: الآمرون الناهون، فنجاهم سبحانه وتعالى.

وأما الطائفة الثانية، فتوقف العلماء فيها.

وإن كانوا إلى الهلاك أقرب.

وفي بعض الآثار: أن عابداً من بني إسرائيل، اعتزل في قريته، وكان يصلي، ويصوم، ويعبد الله، لكنه لا ينكر المنكرات حوله: من الزنا، والربا، وشهادة الزور، والغصب، والقتل.

فأمر الله جبريل أن يدمر القرية العاصية.

فذهب جبريل إليها، فرأى العابد في دعاء إلى الله.

قال: يا رب، عبد في القرية يعبدك!! فكيف ندمره معهم؟؟.

قال: به فابدأ، إنه لم يتمعر وجهه للمنكر، أو كما قال عزَّ من قائل.

فعُلم من ذلك: خطورة السكوت على المنكر، وأن الإنسان الذي يعيش سلبياً في المجتمع، ليس هو بمسلم حقاً، يعني: ليس بكامل الإسلام.

صحيح، قد ينجو في الآخرة، لكنه أساء لدينه، وأساء لمستقبله، ولأمته، ولبلاده.

فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يتسطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

قال بعض أهل العلم: في هذا الحديث، يتحدث الرسول ﷺ عن طوائف ثلاث.

«**من رأى منكم منكراً فلغيره بيده**» هذا لأهل السلطة التنفيذية، للقضاة وللأمراء، ولمن في يدهم سوط وسيف.

«**فإن لم يستطع فبلسانه**» هذا للدعاة والعلماء وطلبة العلم.

«**فإن لم يستطع فبقلبه**» هذا للذين لا يملكون حجة وبياناً، ولا سيفاً وسناناً، يعني ليسوا من الدعاة والعلماء، وليسوا من الأمراء والقضاة، فعلى هؤلاء أن ينكروا بقلوبهم.

وقيل: بل على المسلم أن ينهى أولاً بيده إن استطاع، فإن لم يستطع بيده فبلسانه بأن يتكلم، لكن إذا خشي الضر فينكر بقلبه، إلا أن الحديث على التدريج وهو الأقرب، بل هو الصواب.

وقف أبو بكر، رضي الله عنه، على المنبر فقال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتحملونها على غير محملها، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥]. وإني سمعت الرسول ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده**»(١).

فبعض الناس يفهم الآية هكذا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥] أي: استقيموا أنتم، وأقيموا أمر الله، ولا دخل لكم بالآخرين مهما فعلوا.

وهذا خطأ!

بل معنى الآية: أنكم إذا أمرتم ونهيتم، فلا يضركم من ضل إذا اهتديتم، بعد أن تأمروا وتنهوا.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١، ١٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥) عن أبي بكر، رضي الله عنه، وانظر: «المشكاة» (٥١٤٢).

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليخالفن الله بين قلوبكم، ثم يلعنكم كما لعن الذين من قبلكم**»[1] نعوذ بالله من لعنة الله.

والله سبحانه يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المَائدة: الآيتان ٧٨، ٧٩].

أما أسس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهي ستة، من لم يقم بها، فقد نقص عليه شيء من مؤهلات، ومواصفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولها: العلم بالمعروف والعلم بالمنكر، ولا يُعلم ذلك إلا بالكتاب والسنة، فلا نأمر بشيء، أو ننهى عن شيء، إلا ومعنا دليل على أنه من الشريعة.

الثاني: الحكمة في الأمر والنهي؛ لأن الجاهل والسفيه يفسد أكثر مما يصلح.

مثل من يريد تغيير منكر، فيجر على الأمة سفك الدماء، واختلاف الكلمة، وتشتيت الأطفال، والحبس، وتشريد النساء، فهذا أساء وليس بحكيم.

بل إبقاء المنكر، كما هو الحال أحسن من استحداث فتنة أعظم؛ لأن المقصود قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٣]، فمن قاتل لتكون فتنة، فما أحسن بل أساء.

الثالث: تحصيل المصلحة من الأمر والنهي.

فإذا علمت أن هؤلاء يعودون من الضلالة إلى الهدى، ويصلح

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) عن ابن مسعود، رضي الله عنه.

حالهم، فلك أن تأمرهم، أما إنسان يأمر بعض الناس، ويعلم أنه سوف يزداد شراً، ويزداد خبثاً، فإن المصلحة بأن لا تأمر وأن لا تنهى.

كأن تأتي إلى بعض الناس، وهو جالس، وتدعوه إلى الله، وتعلم أنه سوف يسب الله إذا دعوته، فالمصلحة: أن لا تدعوه وأن لا تنهاه ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٨].

وقد وُجد من الصالحين أنه دعا بعض الناس بعنف إلى سيرة الرسول ﷺ، فسبّ هذا المعرض رسول الله ﷺ!!

الرابع: التدرج في المأمورات والمنهيات، فتبدأ بالعقيدة وبالفرائض قبل غيرها.

فلا يصح أن نأتي إلى مجتمع، لا يقيم الصلوات، وندعوه إلى تربية اللحية، وماذا ينفعنا أن يربي الناس لحاهم؟ لكن ما عندهم إيمان.

والرسول ﷺ بُعث والخمر يُشرب داخل الحرم، فما قال لهم: الخمر حرام؛ لأنهم وثنيون قد فسدت عقائدهم من أساسها، ووقعوا فيما هو أعظم من الخمر ألا وهو الشرك.

فكان ﷺ يقول لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»(١).

أرسل ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن فقال: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»(٢). ثم تدرج إلى الزكاة.

الخامس: الصبر والحلم والصفح فهو من ضرورات الداعية المسلم.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٥٥٩٣)، والحاكم (٣٩) عن ربيعة بن عباد الديلي، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٩)، وابن حبان، كما في «الإحسان» (٦٥٦٢)، والحاكم (٤٢١٩) عن طارق بن عبدالله المحاربي.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

يقول لقمان عليه السلام لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان: الآية ١٧]. قال أهل العلم: إنما قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ لأنك سوف تُبتلى وتؤذى، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العَنكبوت: الآية ٢].

لقد ضربوا الرسول ﷺ وشجّوه حتى سال الدم من وجهه الشريف، فكان يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

السادس: عمل الآمر بالمعروف بما أمر به، واجتنابه المنكر الذي ينهى عنه، فهذا ضرورة، فإن الله لا يجعل تأثيراً ولا قبولاً لمن يخالف قوله فعله.

يقول سبحانه وتعالى عن شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: الآية ٨٨].

قال: ما أريد أن أنهاكم عن شيء، وأفعل هذا الشيء، أو آمركم بشيء وآتي هذا الشيء.

لكن هذا يحتاج إلى تفصيل.

فإنه لا يلزمك أن تفعل النوافل التي تقولها وتأمر بها.

ويلزمك أن تفعل الفرائض التي تقولها للناس.

مثل أن تأمر الناس بالصدقة، وقد لا يكون عندك عشاء ليلة.. فمن أين تتصدق؟

وقد تدعوهم إلى قيام الليل، لكنك لا تستطيع في بعض الفترات أن تقوم، فعليك أن تدعو وتواصل، فالنوافل أمرها في سعة، أما الفرائض فلا بد منها، وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) عن ابن مسعود، رضي الله عنه.

● **هديه ﷺ في الأمر والنهي:**

أما هديه ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكما يلي:

أولها: الدعوة إلى العقيدة: فقد وقف ﷺ على الصفا فجمع الناس وقال: «**يا أيها الناس!! يا بني عبد مناف! يا بني هاشم: يا بني كعب بن لؤي!! يا بني تميم!!**» فاجتمعوا جميعاً حتى ملؤوا الحرم والوادي بين الصفا والمروة.

فقال: «**يا أيها الناس لو أخبرتكم بأن خيلاً ببطن هذا الوادي تريد أن تصبحكم أو مصدقي أنتم**»؟

قال: ما جربنا عليك كذباً.

قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك لا أملك لك من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب أنقذ نفسك، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً**»[(١)].

فلما انتهى، قام أبو لهب، وقال: تباً لك سائر اليوم.

فتولى الله الرد عليه من فوق سبع سموات: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: الآية ١].

فما زاد ﷺ على الدعوة إلى العقيدة ثلاث عشرة سنة.

وبدأ ﷺ بنفسه ثم بأقاربه ثم بالناس.

فكان هديه ﷺ أن يبدأ بالقرابة قبل الناس، وهذا هو الأمر **الثاني** من هديه ﷺ.

الثالث: اللطف واللين: فما يوجد ألطف من محمد ﷺ، ولذلك قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩]، وقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: الآية ٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

وكان يجلس في المسجد ﷺ، ومعه أصحابه، فيأتي أعرابي، فيبول في طرف المسجد، فيقوم الصحابة، ويريدون أن يضربوه.

فقال ﷺ: «**لا تزرموه** - وفي رواية - **لا تقطعوا عليه بوله**» فلما انتهى استدعاه ﷺ وقال: «**إن هذه المساجد لا تصلح للأذى ولا للقذر، وإنما هي للصلاة والذكر والتسبيح**..» ثم أمر بذنوب ماء فطهّر به مكان البول[1].

فانتهت المشكلة واستفاد الأعرابي.

ولو تركهم ﷺ فضربوه وضربهم لهرب من المسجد، ثم كفر بالله، ثم أصبح شائعة مغرضة ضد الإسلام، ونفّر الناس عن الرسول ﷺ.

فقام الرجل وتوضأ وأتى ليصلي، وفي التحيات قال في التشهد الأخير: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً!

فالتفت ﷺ بعد الصلاة، وقال: «**من الذي دعا آنفاً**»؟

وهو يعرف ﷺ أنه الأعرابي.

فقال الأعرابي: أنا وما أردت إلا الخير.

قال: «**لقد حجرت واسعاً**»[2] يعني: ضيّقت رحمة الله، التي وسعت كل شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦]، فعاد إلى قومه فأخبرهم بأخلاق الرسول ﷺ فدخلوا في دين الله أفواجاً.

هذا هو اللين واللطافة في دعوته ﷺ، وكذا دعوة كل نبي.

أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: الآية ٤٤].

يقول ابن عباس: القول اللين: أن يمنّياه بالملك، والشباب، والصحة.

فيقولا لفرعون: إذا أسلمت متعك الله بشبابك، ومتعك بملكك، ومتعك بصحتك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠، ٦١٢٨) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل معنى القول اللين: أن يكنياه لكي يشعر باهتمامهما له فيقبل الدعوة.

أكـنـيـه حـيـن أنـاديـه لأكـرمـه ... ولا ألـقـبـه والـسـوءة الـلـقـب
كـذاك أُدِّبتُ حتى صار من خلقي ... أنـي وجـدت مـلاك الـشـيـمـة الأدب

ولذلك يتهم بعض الناس بعض الدعاة للتنازل في بعض الكلمات التي لها مقاصد، وقدوتهم في ذلك موسى ومحمد ﷺ.

لأن القلوب لا تنقاد إلا بالأسلوب الحسن.

دخل رجل من الوعاظ على هارون الرشيد فقال: يا هارون استمع إليَّ لأقولن لك اليوم كلاماً شديداً.

قال: والله، لا أسمع، والله لا أسمع، والله لا أسمع.

قال: ولِمَ؟

قال: أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شرٌّ مني، فقال له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: الآية ٤٤].

كان أسلوبه ﷺ: اللين، والدخول إلى قلوب الناس.

نحن نتحدى أن يوجد في كتب السنة، أو كتب السيرة كلمة بذيئة يقولها الرسول ﷺ.

فهل سمعتم أنه قال لكافر زنديق: (يا حمار)! أو (يا قبيح)؟

لقد كان ﷺ عفيفاً قريباً من القلوب حتى أسر الناس.

وفي «السيرة» لابن هشام أن أبا سفيان لما عفى عنه ﷺ بكى وقال: لا إلـه إلا الله ما أرحمك! ولا إلـه إلا الله ما أبرك! ولا إلـه إلا الله ما أوصلك!

على الرغم من أن أبا سفيان قد آذى الرسول ﷺ كثيراً.

الرابع: من أساليبه ﷺ في الأمر والنهي هو: التورية في الخطاب، لأن الفضيحة ليست بنصيحة.

ولا يكسب الداعية الذي يفضح الناس على رؤوس الأشهاد شيئاً.

كتب الإمام الشافعي رسالة لأحمد بن حنبل يقول فيها:

أحب الصالحين ولست منهم ... لعلي أن أنال بهم شفاعه
وأكره من تجارته المعاصي ... ولو كنا سواءً في البضاعه
تعمدني بنصحك في انفراد ... وجنبني النصيحة في الجماعه
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري ... فلا تجزع إذا لم تُعط طاعه

تريد أن تهديني، فتفضحني أمام الناس.

تريد أن تقودني إلى الجنة، بعد أن تشهّر بي على رؤوس الأشهاد.

قلبي لا يرضى هذا أبداً، فهذه طبيعة وضعها الله في الناس.

ولذلك كان ﷺ يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**»(١). فيعرف صاحب الخطأ خطأه، فيتراجع عنه دون فضيحة أو تشهير.

استعمل ﷺ رجلاً يقال له: ابن اللتبية على الصدقات.

فذهب ليجمعها وعاد إلى النبي ﷺ بأموال وأنعام كثيرة.

فاستغرب ﷺ وقال له: ما هذه؟

قال: هذه لي وهذه لكم!

فغضب ﷺ وقام على المنبر فقال: «**ما بال أقوام أرسلهم لجمع الصدقات فيأتي أحدهم فيقول: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيُهدىٰ إليه؟ والذي نفسي بيده لا يأخذون قليلاً أو كثيراً إلا أدَّوه يوم القيامة**» أو كما قال ﷺ.

---

(١) كما عند البخاري (٧٥٠) عن أنس، رضي الله عنه، وعند البخاري أيضاً (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس، رضي الله عنه، وكذا في أحاديث كثيرة.

فقام رجل أسمر من الأنصار من الأمراء، فقال: خذ عملك، يا رسول الله.

فقال: لِمَ؟

قال: سمعتك تقول ما قلت الآن.

قال: «**وأنا أقوله: والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد قليلاً ولا كثيراً إلا أداه يوم القيامة**»(١).

الشاهد أنه ﷺ لم يُشهر بالرجل على رؤوس الأشهاد على رغم من خطئه، ولكنه ﷺ جعل النصيحة عامة، ليستفيد الجميع، ولا يظنوا أنها خاصة بذاك الرجل.

من هم أهل الحسبة في الإسلام؟

أهل الحسبة قوم اختفوا إلا القليل في هذا العصر.

وتعريفهم كما قال أهل العلم: هم طائفة من المؤمنين جندوا أنفسهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، طلباً للأجر من الله سبحانه وتعالى، وإصلاحاً للبلاد والعباد.

هذه مواصفاتهم، فليس عندهم ألغاز ولا أحاجي، ولا عندهم متفجرات ولا أسلحة! بل عندهم إصلاح الناس.

يعني يأخذون الإنسان من الخمّارة إلى طريق الجنة.

ويأخذون الإنسان الضائع، العربيد، المغني، الراقص، ويقولون له: هذه طريق الجنة، فاسلكها.

ولا يلزم أن يكونوا موظفين، وعندهم بطاقات، بل يلزم أن يكون عندهم شيء من الفهم، والعقل، والخوف من الله، والإخلاص، وطاعة ولاة الأمور في طاعة الله، ورفع المنكرات إليهم ليقوموا بوقفها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٧، ٦٩٧٩)، ومسلم (١٨٣٢) عن أبي حميد الساعدي، رضي الله عنه.

وأعظم من اشتغل بالحسبة، هم: أصحاب الرسول ﷺ والتابعون، وعلى رأسهم: سعيد بن المسيب؛ الذي كان ينزل إلى أسواق المدينة، فينهى ويأمر.

وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة.

إلى أن وصل الحال إلى شيخ الإسلام، فأعلن الحسبة بطائفة من الناس معه.

فكان ينزل إلى سوق دمشق، فيأمر، وينهى، ويقيم الحدود؛ لأنه وجد في عهده من لا يقيم الحدود فأقامها بنفسه، بل كان يحلق رؤوس الصبيان بنفسه! لأنه لم يجد من يفعل ذلك في عهده.

أما المواطن التي يتواجد فيها أهل الحسبة، فهي: النوادي، وتجمعات الناس، والأسواق، ودكاكين الباعة، وأهل الخياطة، والمجالس العامة، والحوانيت، فيأمرون وينهون بالحكمة، والموعظة الحسنة.

فلا يقتصرون على المسجد فقط؛ لأن محمداً ﷺ دخل سوق عكاظ، وكانت فيه مخالفات كثيرة، فدعا إلى لا إله إلا الله.

والداعية يدخل إلى المقاهي مثلاً؛ لأن الذين في المساجد غالباً هم أولياء الله عزَّ وجلَّ، أما العصاة فهم لا يتواجدون إلا في المقاهي ونحوها.

أما وسائل أهل الحسبة فهي كل وسيلة وجدت، تخدم الدعوة، والأمر، والنهي، ولم تكن محرمة بنص من الكتاب والسنة.

أقول هذا، وهو معلوم لديكم، لأن بعض الشباب، وهم قلة، ولله الحمد تركوا الوسائل المعاصرة، التي تخدم دعوتهم، وارتضوا بأن يكون حالهم كحال الرسول ﷺ والصحابة حتى ينصرهم الله.

فتركوا السيارات، والطائرات، والميكرفون، والمسجلات، والأشرطة، بدعوى أنها محدثة.

وهذا فهم مغلوط؛ لأن الرسول ﷺ استخدم ما تيسر له من الوسائل في عهده ما لم تكن محرمة.

ونحن كذلك.

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]، أليس من القوة أن نأخذ هذه الوسائل ونستخدمها؟

أيها الإخوة.. أوصيكم ونفسي إن كنا نريد النجاة.. بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن نقيمه في واقعنا، وفي بيوتنا، وفي حاراتنا، وأسواقنا بحسب ما نستطيع.

وأن يقوم أهل الحي بالدعوة لمن يرون فيه تقصيراً من الجيران، أو من المحلات التجارية، التي تبيع المحرمات، فينصحه هذا، ويتلوه الآخر، ثم الثالث.

حتى يعلم أن الأمة لا زالت بخير، وأن الناس قد تغيرت اتجاهاتهم وميولهم، وتطلعاتهم، فيرعوي عن منكره.

وأما السلبية التي تصيب الشاب، وهو يرى المنكرات أمام عينيه، فلا يتحرك، ولا يأمر ولو بكلمة، فهذا مما يُقسي القلب، ويجعل لله سلطاناً على نفسه أن يصيبه بعذاب من عنده.

فالنجاة! النجاة! فالله يقول: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٥].

أسأل الله لي ولكم التوفيق، وأن يجعلنا من الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، الداعين إلى الخير.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الرفـــق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد..

فقد قالت عائشة رضي الله عنها: دخل رهط من اليهود على الرسول ﷺ فقالوا: السامُ عليكم.

قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السامُ واللعنة.

فقال رسول الله ﷺ: **«مهلاً يا عائشة!! إن الله يحب الرفق في الأمر كله»**.

فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟

فقال ﷺ: **«قد قلت: وعليكم»**(١).

في الحديث مسائل:

أولاً: كيف يدخل اليهود على الرسول ﷺ؟

والجواب: أنهم يدخلون، كما يدخل المرضى على الطبيب.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة، رضي الله عنها.

والداعية لا بد أن يتسع صدره للناس، ولا بد أن يجلس مع اليهود والنصارى، والعلمانيين، والماسونيين، والشيوعيين، لأنهم مرضى.

والطبيب إذا حجر على نفسه أن يدخل عليه المريض، فمن يشفي المريض بإذن الله؟

وأنت ترى القرآن يفتح جبهات عديدة عليهم، فبينما هو في سورة البقرة يتحدث عن المنافقين، وإذا هو مع اليهود، وبعد فترة مع النصارى، وبعد فترة مع من أنكر وجود الله، أو ألوهية الله، إلى غير ذلك.

فهو ﷺ قد أكل مع اليهود، وزار اليهود، وتحدث مع اليهود، وجادل اليهود، وفتح مجلس حوار مع اليهود فقال: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٨].

ويقول لهم ﷺ بمنطق القرآن: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١١]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٩].

أخذ يحاورهم ﷺ من أكبر قضية إلى أصغر قضية، وينازلهم بالأدلة، فبعضهم أسلم، وبعضهم قال: لا.

فدخل اليهود، فقالوا للرسول ﷺ في هذا المجلس: السَّامُ عليكم.

والسام معناه: الموت.

يعني: الموت عليكم، أي: على الرسول، وعلى المسلمين!

وظنوا أن هذه الكلمة سوف تضيع في الزحام.

قالوا: السامُ عليكم، وهم لا يريدون السلام، للإسلام، ولا للرسول ﷺ، لا سلّمهم الله ولا حياهم ولا بياهم، بل يريدون الهلاك.

وقيل: السام: الثعبان.

وقيل: الحية الرقطاء، وكلها سواء.

خذا جانبي هرشا أوقفاها فإنه كلا جانبي هرشا لهن طريق

فسمع ﷺ الكلمة، وهي كلمة نابية، وكلمة مؤذية، وكلمة تجرح المشاعر، خاصة من اليهود، وخاصة أنها قيلت لمحمد ﷺ.

ولو قيلت لغيره ﷺ، لأدمى ظهورهم جلداً، أو لسحبهم على وجوههم على الرصيف، لأنه يملك القوة، وبيده السيوف، وعنده المهاجرون والأنصار، يشربون دم اليهود شرب الماء.

لكنه تغافل ﷺ عنها.

فقالت عائشة من وراء الستار، وكان بينها وبين الرسول ﷺ حجاب: عليكم السامُ واللعنة.

فزادت هي على الصاع صاعين!

فقال ﷺ: **«مهلاً يا عائشة»**.

لماذا هذا الكلام؟ فليس في قاموسه ﷺ كلمات نابية، بل دستوره أبيض.

وأنا أتحدى أن يُوجد في كتب السنة التي بين أيدينا كلمة نابية، أو كلمة تشمئز منها النفوس قد قالها ﷺ.

فعلى ركبه فليمض الدعاة والخطباء، حيث لا تجريح، ولا تشهير، ولا سب.

فرعون سفاك، قتل الرجال، وسفك كرامة النساء، وقتل الأطفال، وكفر بالله، وداس التاريخ تحت قدميه.

فأرسل الله له موسى وهارون، وفي الطريق أوصاهما الله بفن الدعوة فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: الآية ٤٤].

قيل لأحد الصالحين: ما هو السحر الحلال؟

قال: هو القول اللين.

وقيل لأحدهم: ما هو السحر الحلال؟

قال: تبسمك في وجوه الرجال.

فقال ﷺ: **«مهلاً يا عائشة»**.

ومهلاً: كلمة تطلب للتريث في الشيء.

يقال: مهلاً مهلاً، يعني تريث.

قال ﷺ: **«مهلاً»** أي تمهلي فليس هذا هو الأدب، وليس هو من سنتي أن أفعل هذا في هذه المواقف.

لماذا اللعنة؟

ولماذا الأذى؟

قال ﷺ: **«مهلاً يا عائشة»**، ثم أتى بقاعدة: **«إن الله يحب الرفق في الأمر كله»**.

والرفق: طلب الميسور، والرفق، هو: السهولة، والرفق: منهج رباني، أنزله سبحانه وتعالى، على محمد ﷺ.

ولا بد من قضية للرفق أن نعيشها عملاً مع الناس.

وأن نتعامل بها.

فالرفق يكون في العبادة، فلا نشدد على أنفسنا، ولا نشدد على الناس، فنُبَغض دين الله إلى الناس.

الرفق مثل ما كان يفعل ﷺ، حيث صلى التراويح ليلتين، وخاف أن يجتمع الناس في الليلة الثالثة، فيفرضها الله، فاختفى في بيته، ثم قال: **«خشيت أن تُفرض عليكم»**(١).

جاءه ثلاثة شباب، وطافوا ببيته، فسألوا عن عبادته، فتقالّوها!

---

(١) أخرجه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١) عن عائشة رضي الله عنها.

فقال أحدهم: أما أنا فلا أتزوج النساء.

وقال الثاني: أما أنا فلا أنام الليل.

وقال الثالث: أما أنا فلا أفطر النهار.

فقال ﷺ: «**إن أعلمكم بالله وأخشاكم أنا**»، يعني: هو الواسطة بيننا وبين الله في التبليغ.

ثم قال: «**لكني أتزوج النساء، وأنام وأقوم، وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

ويقول ﷺ عن الخوارج: «**تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم، وقيامكم إلى قيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»(٢) لأنهم عبدوا بلا فهم وبلا فقه.

وهذا مثل من يريد أن يربي الشباب، أو يقود مجتمعاً على غير علم، بل فقط بالعواطف والنشيد والتمثيليات.

دون أن يقودهم بالعلم الشرعي، والمنهج السليم الواضح.

قوله ﷺ: «**إن الله يحب الرفق**»، والحب: صفة له سبحانه وتعالى، تليق بجلاله، فهو يحب الصالحين، ويحب الصابرين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المحسنين.

ويكره، سبحانه وتعالى، الكفرة، ويكره الفجرة، ويكره الكذب، ويكره الفواحش، فنثبت صفاته كما أثبتها هو لنفسه، وكما أثبتها له رسوله ﷺ، من غير تكييف، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

«**إن الله يحب الرفق**»:

الرفق في القول: هو أيسره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد، رضي الله عنه.

وفي الأفعال: أسهلها.

وفي الأحوال: أنبلها.

فالواجب على المسلمين، لا سيما الدعاة وطلبة العلم: أن يتحلوا بالرفق في دعوتهم، ليكسبوا قلوب الناس كما كسبها محمد ﷺ.

وأن يتحملوا منهم الأذى الذي قد يرد، لأنه لا دعوة إلا بأذى، ولكن زاد الداعية تجاه ذلك: الرفق والصبر، حتى يتمم الله على يديه الخير العظيم.

أسأل الله لي ولكم الرفق في جميع أمورنا.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة نسأل الله حسنها

وبعد، فهذا ما يسر الله عزَّ وجلَّ لي جمعه من مسائل في التوحيد، وأبحاث في العقيدة، والتوحيد أكبر وأهم من أن تحويه وتحيط به هذه المقالات، ولكنها غيض من فيض، على أن نعاود الكرة، بحول الله تعالى، لإضافة ما يبدو لي من أبحاث التوحيد والإيمان، وأنا أبرأ إلى الله عزَّ وجلَّ من كل قول خالف مراد الله عزَّ وجلَّ ومراد رسوله ﷺ، وأسأله سبحانه الإعانة على حزن الأمر وسهله، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، والسر والعلن.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إلٰه إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

وكتب

د/عائض القرني